الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت – الجزائر

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

حامل بيداغوجي موجه لطلبة السنة أولى ماستر– ل.م.د
السداسي الأول
تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

تاريخ إفريقيا وآسيا في القرن 20م

إعداد:
د/ كركب عبد الحق

السنة الجامعية: 1442–1443هـ/ 2021–2022م

♦ **البرنامج العام للسند:**

تاريخ إفريقيا وآسيا في القرن 20م

- الاستعمار الأوربي في إفريقيا جذوره وتطوره.
- إفريقيا مع نهاية القرن 19م والتنافس الاستعماري على القارة.
- آسيا مع نهاية القرن 19 والاستعمار الأوربي في آسيا.
- حركات التحرر في إفريقيا وآسيا.

تقديم المقياس

التقديم

لقد عرفت حركة الاستعمار الأوروبي نموا كبيرا مباشرة بعد الكشوفات الجغرافية لأن هذه الأخيرة فتحت باب الاستعمار الأوروبي على مصراعيه في الشرق، والعالم الجديد، واستراليا، منذ نهاية القرن الخامس عشر، وأوائل القرن السادس عشر، ولأن هذه الكشوفات سمحت للدول الأوروبية باكتشاف وبجرد العالم كله وتقسيمه والربط بين أجزائه في منظومة محكمة من العلاقات الاقتصادية والتجارية، ويقول المؤرخ **'جمال حمدان'** في هذا الصدد في كتابه "**إستراتيجية الاستعمار والتحرر**":(**إن الكشوف الجغرافية تتعامل مع جذور أو على الأقل بذور الاستعمار المعاصر مباشرة، فقد ولد الاستعمار الحديث في حجر الكشوف الجغرافية ولا نقول في رحمها...**).

لقد ساعدها على ذلك التقدم التكنولوجي النسبي الذي حققته في المواصلات البحرية إضافة إلى تنامي قوتها العسكرية وتحقيقها لتقدم صناعي واقتصادي بفضل الثروة الصناعية حيث توفرت لديها سلع كثيرة تزيد لها منافذ للتوسع وتحتاج إلى المواد الخام من البلاد العربية، ومما سهل لها مهمتها ضعف البلدان المفتوحة وتدهور قوتها العسكرية وتخلف اقتصادها، بالرغم من ثراء مواردها الطبيعية الغير مستغلة، وهذا مما دفع بالدول الأوروبية إلى التنافس الشديد فيما بينها من أجل اكتساب المزيد من المستعمرات هي الفائدة التي جنتها من هذه العملية حيث استفاد الأوروبيون من الثروات التي استنزفوها من المستعمرات في توفر رأس المال اللازم للتوسع الصناعي وزيادة الإنتاج الذي يستدعي بدوره إمدادا للمواد الخام ويتطلب أسواقا لتصريفه بكميات كبيرة.

لقد شهد القرن الثامن عشر والتاسع عشر موجات متلاحقة من الغزو الاستعماري الذي قامت به الدول الأوروبية بعد أن بدأت في هذه القارة ثورة صناعية عارمة تضخم نتيجتها الإنتاج وأصبح من الضروري على هذه الدول الصناعية أن تبحث عن أسواق جديدة لتصريف هذا الفائض من المنتجات الصناعية -كما وأن سبق ذكره-، وقد ترتب على ذلك ازدهار التجارة وامتداد آفاقها لتشمل جميع بقاع العالم، فكانت تلك المرحلة تمثل بداية التكالب الاستعماري على احتلال الدول الآسيوية والإفريقية، للهيمنة على مواقع إستراتيجية تتحكم فيها الطرق التجارية والعسكرية، وامتد هذا التكالب إلى محاولة تشكيل وتوجيه أوجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد التي تم احتلالها أي بمعنى آخر سعت إلى أوربة المناطق التي قامت باحتلالها خلال التوسع الأوروبي، تلك هي الأسرار التي جعلت من التوسع الاستعماري ظاهرة تاريخية فريدة من نوعها قلما تماثلها حركة من حيث سلبية النتائج وعمق التأثير في مستقبل تطور المجتمعات المستعمرة ونماءها، ويفسر **'مالكي أمحمد'** التوسع الاستعماري وظاهرة الاستعمار في كتابه: **"الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي"** بقوله:(... **إن الذي يميز ظاهرة الاستعمار كما تبلورت مع النصف الثاني من القرن 19م عن مختلف حركات التوسع المتشابهة لها هو أنها محصلة تطور النظام الرأسمالي المعزز بثوراته الصناعية، كما أنها حركة بقدر ما كان هاجسها الاستراتيجي احتلال الأرض ومشتملاتها بقدر ما كان همها المركزي اختراق الإنسان في فكره وثقافته ولغته...**).

ومنذ أن وطأت أقدام الاستعمار أرض إفريقيا وأسيا بادرت شعوب هذه المناطق إلى رد العدوان من خلال مقاومات أخذت أشكالا مختلفة تمثلت في الكفاح المسلح

والنضال المستمر بالإضافة إلى النشاط السياسي والدبلوماسي الذي خاضته هذه الشعوب للتعريف بقضاياها العادلة في إطار **كفاح تحري** ضد الوجود الاستعماري وممارساته المختلفة مما أسهم في تراجع وتصفية الاستعمار التقليدي وتحقيق الاستقلال الوطني الشامل.

أولا: الكفاءة المستهدفة:

أن يكون الطالب قادرا على تحديد مفهوم الاستعمار وتحليل أسباب الحركة الاستعمارية ومظاهرها وسياستها ومخططاتها وتداعياتها على قارتي إفريقيا واسيا، وفي نفس الوقت معرفة ردود فعل شعوب المستعمرات في القارتين ضد الاستعمار والأساليب والوسائل المتبعة وفق نوع الاستعمار وظروف كل مستعمرة وتبعا للتطورات الدولية.

ومن المعارف المطلوبة هي الحركة الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا واسيا كظاهرة تاريخية متعددة الأبعاد ومتنوعة الأهداف، ومقاومتها من خلال ردود أفعال وأشكال الحركات التحررية، وكذلك:

- فهم مدى توظيف أوروبا لتفوقها الاقتصادي والعسكري لفرض الهيمنة على غيرها.
- إدراك أن زوال الكيانات السياسية والأنظمة والحكومات لا تعني قتل روح الصمود وإرادة المقاومة لدى الشعوب.

ثانيا: الإشكالية المطروحة:

عرفت القارة الأوروبية بين القرنين 17م و19م تحولات عميقة في الفكر والسياسة ولاقتصاد جنت ثمارها الشعوب الأوروبية، في حين انعكست سلبا على شعوب إفريقيا واسيا من خلال ظاهرة الاستعمار، وما إن تمكن الاستعمار الأوروبي من السيطرة على شعوب قارتي إفريقيا واسيا وتكريس سياسته الاستعمارية، حتى كان لهذه الشعوب رد فعل تمثل في المقاومة والرفض لهذه السياسة بإتباع أسلوب الكفاح المسلح، أو النضال السياسي، أو الجمع بينهما **كيف ذلك؟**.

ثالثا: المصطلحات التاريخية

أثناء معالجتنا لهذه الدراسة استوقفتنا بعض المصطلحات التاريخية التي تخللت البحث وسادت موضوعنا، وتترجم في حقيقة الأمر أبعادا فكرية وتاريخية منها:

- **الاستعمار**: "سيطرة جماعة على جماعة أخرى، أو سيطرة دولة على دولة أخرى واستخدام هذه الجماعة الأولى أو الدولة الأولى قوتها الصناعية لإخضاع شعب آخر واستغلاله اقتصاديا"، **وهناك تعريف آخر أكثر التعريفات شمولا فقد عرف الاستعمار بأنه**: "هو العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم، أو على سكان تلك الأرض أو على الأرض والسكان في آن واحد".

- **الثورة الصناعية**: التطورات الصناعية التي حدثت في ميدان الصناعة في القرن 18م في أوربا، غالبا ما وضعت الأسباب الاقتصادية في المقدمة من أجل تفسير الغزو الاستعماري الذي قامت به الدول الأوروبية فيقال أن أوربا كانت بحاجة ماسة إلى تامين تزويدها بالمواد الأولية والى إيجاد الأسواق لمنتجاتها، ومن هذا المنطلق لا يمكن إيجادها إلا في خارج القارة الأوروبية والبحث عن

الأسواق كمحرك قويا ومع الانقلاب الصناعي الذي تمخض عن الرأسمالية وخلق المجتمع البورجوازي الرأسمالي الذي هو في صميمه مجتمع تنافسي تملكي وتوسعي نتيجة توفر السلع الكثيرة والمتنوعة وبالتالي تحقيقها لتقدم صناعي واقتصادي، إذن خلقت الصناعة المجتمع الذي يحض على الاستعمار ويؤدي إليه كواقع وكمثال للتوسع.

- **اختراق الإنسان في فكره وثقافته ولغته:** هو معنى سلبي أي الإبادة الروحية بالنسبة لشعوب المستعمرات محو ومسح الشخصية والهوية الوطنية والثقافية وأصالته الإسلامية، أي زرع مجتمع غريب ودخيل في عاداته وأسلوب حياته وأخلاقه في المجتمع.

- **الكفاح التحرري:** ظاهرة سياسية وعسكرية وهي كل الأشكال التي يأخذها نضال الشعوب المستعمرة (سياسية واقتصادية وعسكرية) بمعنى أسلوب الكفاح المسلح أو النضال السياسي أو الجمع بينهما، ضد الوجود الاستعماري فهي وسيلة حركات التحرير الوطني من أجل الاستقلال و استعادة السيادة وتحرير أراضيها و تحقيق تقرير مصيرها.

المحاضرة الأولى
الاستعمار الأوربي في إفريقيا
جذوره وتطوره

المحاضرة الأولى: الاستعمار الأوربي في إفريقيا جذوره وتطوره

الدرس الأول:

تمهيد:

عرفت القارة الأوروبية بين القرنين 17م و19م تحولات عميقة في الفكر والسياسة والاقتصاد جنت ثمارها الشعوب الأوروبية، في حين انعكست سلبا على الشعوب العربية والإفريقية والآسيوية من خلال ظاهرة الاستعمار.

أولا: مفهوم مصطلح الاستعمار والظاهرة الاستعمارية

1. الاستعمار:

نستطيع أن نعرف الاستعمار بأنه "قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية على شعوب وأقاليم أجنبية عنها، غير راغبة في التبعية المفروضة عليها، ويصحب السيطرة الاستعمارية قيام الدولة المستعمرة باستغلال هذه الأقاليم والشعوب.

وفي معنى آخر هو الرغبة الجامحة في امتلاك البلاد غير الأوروبية واستيطان البيض فيها أو بسط النفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي بقوة السلاح في بعضها، وكلمة استعمار من كلمات القرن التاسع عشر وأما ما يعادلها اليوم فهي كلمة امبريالية.[1]

ومن التعريفات الجامعة للفظ الاستعمار هو قيام دولة بغرض سيطرتها الكاملة خارج حدودها على شعب دولة أخرى وبدون موافقة ورضا أهلها، وتقوم هذه السيطرة على استغلال الإقليم المستعمر وسكانه مما يفقد هذا الإقليم سيادته الداخلية والخارجية، فيصبح إقليما مستعمرا وليس دولة، وقد ادعت الدول الاستعمارية في ذلك وجود شرعية

[1] دياب(أحمد إبراهيم)، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، الطبعة الأولى 1981 كلية الآداب، جامعة الرياض، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص 108.

للاستعمار تبرر لها حق الغزو على أراضي الضعفاء دون مراعاة لحقوقهم في الحرية والحياة الكريمة المستقلة.[1]

استكمل نظام الاستعمار المعاصر نضجه في نهاية القرن التاسع عشر(19م) عندما جرى الانتقال من رأسمالية المنافسة الحرة إلى رأسمالية الاحتكارات أو الامبريالية، وأن الجوهر السياسي للاستعمار هو إخضاع دولة ما إخضاعا كاملا لدولة أخرى، على أساس وجود سلطة الدولة في يد الدولة المسيطرة، وهكذا، فإن القوى الأوروبية سيطرت على العالم كله لكي تؤكد الاستفادة القصوى من إمكانياتها، وكان هذا السلطان السياسي موجها نحو هدفين أولهما: استمرار إخضاع شعوب المستعمرات إخضاعا سياسيا، وثانيهما: تمكين المستعمرين من الاستغلال أقصى لشعوب المستعمرات ومواردها الطبيعية، وقد كان ذلك ينعكس بوضوح في القوانين والمراسيم التي تسنها الدولة.[2]

2. الظاهرة الاستعمارية:

الظاهرة الاستعمارية هي ظاهرة تاريخية متعددة الأبعاد ومتنوعة الأهداف، تعد ولي شرعي النظام الرأسمالي في طبيعته التجارية، هذا النظام الذي نشأ ونمى أوروبيا منذ بداية القرن 16م قبل أن يتسع ويمتد يصبح منظومة كاملة مع أواخر القرن 19م والعقود الأولى للقرن 20م.

ولقد تجسدت الظاهرة الاستعمارية فيما يعرف بالغرب الذي شكل قطب العالم ومحور نظامه الدولي منذ القرنين 15 و16م (أوروبا أساسا) وبالتالي أصبحت فلسفتها وقيمتها هي السائدة بحكم الهيمنة التي دشنها عصر النهضة وواصلت منطلقاتها الثورات، التي شملت ميادين الاقتصاد والمجتمع والفكر والتي شكلت في مجملها ما أصطلح على الفكر السياسي الأوروبي على تسميته "العقل الحديث"، ولهذا الشكل اعتبرت أوروبا نفسها صانعة الحضارة الجديدة الذي يرى في فلسفتها وقيمة النموذج الأرقى للتطور والاعتدال

[1] حسن السيد(سليمان)، **"ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي"**، **مجلة دراسات افريقية**، العدد الثاني، أفريل 1986، مجلة بحوث نصف سنوية، المركز الإسلامي الإفريقي الخرطوم، ص ص(55-81).

[2] وودس(جاك)، **الاستعمار الجديد في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية**، الطبعة الأولى، ترجمة الفضل شلق، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت 1971، ص ص(9-11).

والاستمرارية، إن أوروبا في علاقتها ذاتها ظلت منسجمة مع قناعتها منسجمة إلى المكاسب التي حققتها في ميدان التحديد والعقلانية والديمقراطية إلا انه في نظرته للآخر ومحاولته في فهمه واستيعاب مقومات تجربته التاريخية، فقد الغرب عناصر انسجامه حيث جعل المنطلق هو ذاته ونسقه الفكري والإيديولوجي وفلسفته ونظمه، وكل تفكير في الآخر من خارج هذا النسق لا يعد و أن يكون عملا عقلانيا، ومنافيا لما يدعى إليه الغرب.[1]

وانطلاقا من هذه الرؤيا وانسجاما مع أهم أطروحاته واكب الفكر الغربي جل مفاهيمه ومنظوراته عن المراكز الحضارية غير المنتمية إلى نسقه في العالم العربي وإفريقيا واسيا وأمريكا . حيث اعتبرها دوائر لم تصل إلى درجة المدنية ويجب عليها أن تدور على المركز الأصلي الذي هو أوروبا ومن هنا ظهرت فكرة أوروبا المركزية التي تنص على ضرورة النظر إلى الطريقة الأوروبية في الحياة على أنها المثل الأعلى التي تقاس بها القيم والمعاني لكل الحضارات الأخرى، وانه ثقافة وتاريخ الشعوب الغير الأوروبية لا يمكن لها أن تصبح ذي أهمية كما لا يمكن لها القيم بالدور المنوط بها إلا إذا تدخل الطرف الأوروبي، وهذه الفكرة هي التي دفعت بالكثير من أنصارها إلى القول بأن أمريكا لم تكن من قبل سوى مجرد قوة كامنة ولم يكن بالإمكان إدراكها إلا من خلال تحقيق قيم ومثل الثقافة الأوروبية، وأن أمريكا لم تتمكن من اكتساب أهمية تاريخية إلا بعد أن أصبحت أوروبا الثانية ويشترط أحد منظري الحركة الاستعمارية الفرنسية وهو "جورج هاردي" (**GeorgesHardy**) في الشخص الذي يرغب في أن يكون استعماريا عنصر الموهبة إذ يقول في كتابه: "عناصر التاريخ الاستعماري" (**Les éléments de L'histoire Coloniale**) **(يبدو لي أنه من أجل أن يصبح المرء استعماريا كمثل أن يكون واهبا، أستاذا أو جنديا لا بد من حد أدنى من الموهبة).**[2]

كما أن الحركة الاستعمارية اعتمدت كثيرا على العلم إذ أن الكثير من منظري الحركة طالبوا بضرورة استعمال العلم في العمليات التوسعية، ومن بين هؤلاء "ريمون

[1] مالكي (أمحمد)، **"الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي"**، ط الثانية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1994، (132-133).

[2] Hardy (Georges), **Les éléments de L'histoire Coloniale**, paris renaissance du livere, 1920.

توماس"(**Remus Thomas**) هو فرنس الذي كان منسجما مع منطق الاحتلال حيث ألح على فرنسا وباستمرار: (...**عليها أن تبادر إلى التعرف على ساحة المعركة حيث تنتظرها مصائر تزداد مجدا كلما كانت أقل حموية وانتصارات تزداد نضوجا كلما تحصلت عليها بأسلحة أكثر سلمية**).

ولقد حاول الكثير من منظري الحركة الاستعمارية من تبرير هذه الظاهرة بعملية التمدين إلا أنه في حقيقة الأمر لم تكن هذه العملية تستهدف منه البحث عن مشروعية أو شرعية دولية، وإلا بماذا يمكن لنا تفسير التناقض الواضح بين الدعوة إلى التمدين و ممارسة نقيضها في التجارب الاستعمارية المختلفة فمثلا تقدم لنا حقبة حكم "بيجو"(**Bugeaud**) للجزائر صورة قاسية لهذا الانفصام في خطاب الاستعمار وممارستهم حيث أظهروا صفات العنف على التسامح، التميز على البناء، الحرب على الهدنة، ويعتبر جول فيري (**Jules Ferry**) من أبرز المنظرين الأوروبيين للحركة الاستعمارية والتي ربطها بشكل قوي بعملية التمدين بل اعتبرها أحد المكونات الرئيسية، خاصة وأن جول فيري يعد من الشخصيات الفرنسية البارزة التي مارست السلطة وواكب عن قرب ما كان يجري في الكثير من المستوطنات الخاصة الجزائر، تونس، والمغرب الأقصى، وجون فيري في دعوته إلى التوسع والاستعمار انطلق من مجموعة من المرتكزات أبرزها:[1]

- اقتناعه أولا بأن الاستعمار قانون حتمي نابع لدرجة التطور الذي وصلته الاقتصاديات الأوروبية بأمتها، حيث يرى في هذا الشأن: (**أن السياسة الاستعمارية ما هي إلا نبت للسياسية الصناعية**)ويسترسل أيضا بقوله: (**أن كل العالم اليوم يتوخى القيام بصناعة الخزف والنسيج، وكل أوروبا تنتج السكر بكميات كبيرة قصد التصدير فبظهور دول مصنعة جديدة كالولايات المتحدة، وألمانيا وصعود أقطار صغيرة كإسبانيا،سويسرا يكون الغرب قد التزم بسيره في طريقة لا رجعة فيه هذا الطريق هو طريق الاستعمار**).

[1] مالكي (أمحمد)، المرجع السابق، ص 113 وما يليها، ينظر أيضا إلى الموقع الالكتروني التالي: https://tipyan.com

- اعتقاده الراسخ أنه أن من حق الدول المتحررة بل و منه واجبها أيا أن تساعد نضيرتها المتخلفة على التمدن.
- إيمانه الشديد بضرورة تعزيز مكانة فرنسا وعظمتها في العالم ولقد وضح ذلك في إحدى تدخلاته في البرلمان الفرنسي بتاريخ 5 جويلية 1885 حيث صرح: (ففي عالم قائم على هذا النحو تكون سياسة التريث أو الامتناع طريق للاحتلال والتصور من المرتبة الأولى إلى الثالثة والرابعة، وبالتالي فإن فرنسا لم تكتفي دون داع أن تلعب دور بلجيكا كبيرة في العالم).
- الاعتماد على العنصرية، حيث وضح في الكثير من المرات أنه يوجد في العالم عرق سامي، وعرق منحط، ويعتبر الشعوب الأوروبية من العرق السامي وبالتالي يجب عليها أن تسعى إلى تمدين الأعراق الأدنى.

فالدول الأوروبية ادعت أن لها رسالة حضارية وثقافية وتشتق بأنها تسيطر على البلدان لتنشر الحضارة والتقدم الإنساني، ورفع المستوى الحياتي والثقافي فيها، بدعوة أن الحضارة ملك لأوروبا ومن خلقها هي، وهي المسؤولة عن نشرها، و هناك من حاول تبرير الحركة الاستعمارية دينيا حيث طرحوا سؤال بارز وهو هل يمكن أن تشرع عملية الاستعمار وقت منظور ديني على الرغم من أن هذه العملية تقوم بأعمال وحشية، و قتل وحرب هذه الشعوب الجديدة التي تستعمرها وهو ما يتنافى مع الدين؟ وللإجابة على هذا السؤال نعمد إلى الاعتماد على ما كتبه بعض المفكرين و الفقهاء المسيحيين الذين سعوا إلى تشييد مشروعية دينية مسيحية للحركة الاستعمارية، ومن بين هؤلاء "دوسو برافيال" عاش فترة ما بين (1480-1573م) "وبرثولوهي دولاس كاساس" (1474-1566م) إذ يرى الأول **(أن الهيمنة الاستعمارية هي واجب تقوم به الشعوب المسيحية على الشعوب الأخرى وان الحرب التي تشن على الشعوب البدائية هي حرب عادلة، فإن الله قد خلق هذه الشعوب بوضع دوني منخفض وحكم عليها بأن تكون هكذا، وأن تكون عبيدا للشعوب الأخرى أكثر تقدما وتطورا وبالتالي تعتبر الحرب هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها أن ينتشر الدين المسيحي بين أفراد هذه الشعوب)**، أما نظرة الفقيه

الثاني فإنه يرى: (**ضرورة وضع شعوب المستعمرات داخل المعسكرات الصغيرة واستعمارها كعبيد شرط أن ينتشر بينهم التعليم المسيحي**).

ثانيا: الظروف التاريخية العامة المؤدية لبروز الظاهرة الاستعمارية

لقد عرفت حركة الاستعمار الأوروبي نموا كبيرا مباشرة بعد الكشوفات الجغرافية لأنها سمحت للدول الأوروبية باكتشاف وجرد العالم كله وتقسيمه والربط بين أجزاءه في منظومة محكمة من العلاقات الاقتصادية والتجارية ولقد ساعدها على ذلك التقدم التكنولوجي النسبي الذي حققته في مواصلات البحرية إضافة إلى تنامي قوتها العسكرية وتحقيقها لتقدم الصناعي واقتصادي بفضل الثورة الصناعية حيث توفرت بها سلع كثيرة تزيد لها منافذ للتوسيع و تحتاج إلى المواد الخام من البلاد الأخرى، ومما سهل لها مهمتها ضعف البلدان المستعمرة وتدهور قوتها العسكرية وتخلق اقتصادها بالرغم من ثراء مواردها الطبيعية الغير مستغلة.[1]

إن الدخول الأوروبي إلى إفريقيا الذي اكتسى طابع المغامرة بعد اتفاقيتي فيينا (1814-1815) وايكس لاشابيل 1819 وتحوله إلى احتلال منظم تحكمه رؤية واعية لأهمية العالم الخارجي وبخاصة إفريقيا في عملية تعضيد النظم الاقتصادية الأوروبية[2]، ومما دفع بالدول هذه إلى التنافس الشديد فيما بينها من أجل اكتساب المزيد من المستعمرات هي الفائدة الكبيرة التي جنتها من هذه العملية حيث استفاد الأوروبيون من الثورات التي استنزفوها من المستعمرات في توفير رأس المال اللازم للتوسع الصناعي وزيادة الإنتاج الذي يستدعي بدوره إمداد للمواد الخام ويتطلب أسواقا لتصريفه بكميات المعادن خاصة بالذهب والفضة والمواد الأولية كالقطن والمطاط والأخشاب وغيرها هي التي وفرت الأساس الذي مكن الثورة الصناعية الأوروبية من تحقيق انجازات غير مسبوقة في الإنتاج. [3]

---

[1] عبد العزيز (إسحاق)، **نهضة إفريقيا**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1391هـ/1971م، ص 78.

[2] مالكي (أمحمد)، المرجع السابق، ص 116.

[3] بوعزيز(يحي)، **الاستعمار الأوروبي الحديث-في إفريقيا واسيا وجزر المحيطات**، طبعة خاصة 2009، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 3 وما يليها.

ومع أن الدوافع إلى الاستعمار كانت اقتصادية وعسكرية في الأساس أي كانت سعيا وراء المواد الخام اللازمة لصناعتها ولتلبية حاجة سكانها والحصول على أسواق لمنتجاتها والهيمنة على مواقع إستراتيجية تتحكم في الطرق التجارية والعسكرية وتشكل حصون للدفاع عن الممتلكات إلا أنها امتدت لمحاولة تشكيل أوجه الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد التي تم احتلالها أي بمعنى آخر سعت إلى أوربة المناطق التي قامت باحتلاله خلال التوسع الأوروبي.[1] فقد سيطر الأوروبيون سنة 1492م على 9% من العالم، وفي1801م حكموا ثلثه وفي 1880م زادوا ثلثي وفي 1935م تحكموا في 80% من سطح الأرض و70% من سكانها.[2]

قد تخلصت أوربا من مظاهر العصور الوسطى وحققت قدرا عاليا من التقدم، جعلها تهيمن على العالم وتكتشف أسرار الكون والحياة حين أنقذت نفسها من الجهل الذي غلّ فكرها (الإصلاح الديني)، فمنذ عصر النهضة الأوروبية بداية من القرن 14م كان زمام المبادرة في يد العالم الغربي، وكان ذلك العالم يفضل ما تيسر له من القوة المادية لبسط نفوذه على العالم.

يقول المؤرخ 'جمال حمدان' في كتابه "إستراتيجية الاستعمار والتحرر": (إن الكشوف الجغرافية تتعامل مع جذور أو على الأقل بذور الاستعمار المعاصر مباشرة، فقد ولد الاستعمار الحديث في حجر الكشوف الجغرافية ولا نقول في رحمها...).

لقد عرفت حركة الاستعمار الأوروبي نموا كبيرا مباشرة بعد الكشوفات الجغرافية في القرنين 15 و16م لأن هذه الأخيرة فتحت باب الاستعمار الأوروبي على مصراعيه في الشرق، و العالم الجديد، و استراليا، منذ نهاية القرن الخامس عشر، و أوائل القرن السادس عشر، ولأن هذه الكشوفات سمحت للدول الأوروبية باكتشاف وبجرد العالم كله وتقسيمه والربط بين أجزائه في منظومة محكمة من العلاقات الاقتصادية والتجارية، لقد ساعدها على ذلك التقدم التكنولوجي النسبي الذي حققته في المواصلات البحرية إضافة إلى تنامي قوتها

[1] حسن السيد(سليمان)، المرجع السابق، ص ص(77-78).

[2] بوعزيز(يحي)، المرجع السابق، ص 4.

العسكرية وتحقيقها لتقدم صناعي واقتصادي بفضل الثورة الصناعية حيث توفرت لديها سلع كثيرة تزيد لها منافذ للتوسع وتحتاج إلى المواد الخام من البلاد العربية.

ويفسر 'مالكي أمحمد' التوسع الاستعماري وظاهرة الاستعمار في كتابه: الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي" بقوله: (... **إن الذي يميز ظاهرة الاستعمار كما تبلورت مع النصف الثاني من القرن 19م عن مختلف حركات التوسع المتشابهة لها هو أنها محصلة تطور النظام الرأسمالي المعزز بثوراته الصناعية، كما أنها حركة بقدر ما كان هاجسها الاستراتيجي احتلال الأرض ومشتملاتها بقدر ما كان همها المركزي اختراق الإنسان في فكره وثقافته ولغته...**).

الصراع الحضاري بين الغرب والشرق بدافع العداء الصليبي: يقول الجودي(أنور)، في كتابه الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، (**لم تكن كل الأهداف الاستعمارية التي أريد تحقيقها مع الإرساليات والمبشرين معلنة، فهي متعددة الدوافع السياسية و الاقتصادية والدينية و الفكرية، هدفها الأساسي تقويض الحضارة العربية الإسلامية و مسخ شخصيتها ودورها، لكي تفتح الطريق للاجتياح الأوروبي والبحث عن الأسواق الاستهلاكية وعن المناجم**).[1] و بذلك أخذ المبشرون دورهم في القارة الإفريقية في خدمة الاستعمار الأوروبي.[2]

إضافة إلى تراجع مكانة العالم الإسلامي بسبب الصراعات الداخلية والتهديدات الخارجية.

[1] الجودي(أنور)، **الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا**، الناظر للدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1385هـ/1965م، ص11. شهد القرن الثامن عشر والتاسع عشر موجات متلاحقة من الغزو الاستعماري الذي قامت به الدول

2 السيد(محمود)، **أفريقيا والأطماع الغربية**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2009، ص 65.

الدرس الثاني:

ثالثا: أسباب ومظاهر اشتداد حركة الاستعمار الأوروبي

1. الدافع الديني ومظاهره

قد كانت الأوضاع في شبه جزيرة إيبريا والصراع بين العرب والأفارقة بها والذي انتهى بخروج العرب منها بعد أن بقوا بها قرابة سبعة قرون انتهت في عام 1492م بسقوط غرناطة آخر معاقل العرب في اسبانيا فأصبحت الأندلس كما عبر بعض الكتاب العرب – فردوس العرب المفقود– من أهم الدوافع للاستعمار الأوروبي على العالم العربي.

وكانت البرتغال قد تخلصت من الوجود العربي قبل اسبانيا[1] واستطاعت أن تقيم مملكة مستقلة قبل أن يستعيد الاسبان استقلالهم الكامل بما يقرب من قرنين من الزمان.

لذا لم يكن أن يبدأ البرتغال حركة دينية جديدة يعتبرها بعض المؤرخين امتدادا للحركة الصليبية بهدف تعقب القوى الإسلامية، والاتصال بملك الحبشة المسيحي الذي ذاع صيته في أوربا وذلك للاشتراك في معركة تطويق للدول الإسلامية ومحاولة احتكار تجارة الشرق التي كانت تمثل مصدر القوة لدولة المماليك في مصر و الشام و الحجاز والتي كانت القوة الإسلامية الكبرى في ذلك الوقت.

ولاشك في أن حملات الأمير هنري الملاح، ورحلاته هو وغيره من البرتغال كانت كلها تهدف لتوجيه ضربة لاحتكار العرب لتجارة الشرق التي كانت تمدهم بالأموال اللازمة لدعم قوتهم العسكرية.

ومما يدل على أن الدافع الديني كان وراء نشاط البرتغال في هذا المجال أن البابوية ساندت هذا النشاط وباركته.

---

[1] حول موضوع التخلص البرتغالي من الحكم العربي قبل اسبانيا لدوافع مختلفة منها قربها من السواحل الإفريقية، ووازع الروح الصليبية التي سادتها والعامل الاقتصادي المتمثل في الرغبة في وصول إلى مناجم الذهب والتجارة في الإنسان الإفريقي، وكذا الرحلات البرتقالية والأوروبية إلى غرب إفريقيا، انظر: هوارد(س)، **أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، ص 14 وما يليها.

وقد أدركت القوى الإسلامية خطورة هذا النشاط البرتغالي وحاولت التصدي له لكن معركة 'ديو' (**Diu**) البحرية عام 1509م حسمت الوضع لصالح البرتغال وأدى ذلك لإضعاف قوة المماليك وحلت محلهم الدولة العثمانية التي واجهت الأساطيل والجيوش البرتغالية في البحر المتوسط ودول إفريقيا[1] وفي البحر الأحمر والمحيط الهندي.

ويرتبط بهذه الدوافع الدينية حركات التبشير[2] التي قامت بها الجمعيات التبشيرية المختلفة في إفريقيا[3] والتي تضاعف نشاطها في أعقاب الصراع الديني الذي شهدته أوربا بعد حركة مارتن لوثر[4] وأتباعه، والانقسام الديني الذي حدث وتنافس البروتستانت والكاثوليك على التبشير، وكان المبشرون في إفريقيا عادة يسيرون في ركاب المستكشفين، ونذكر في هذا المجال جهود الرحالة لفنجستون (**Livingstone**) الذي انضم في عام 1838 لجمعية

[1] **إفريقيا**: من قارات العالم القديم التي يعتقد البعض أنها قد تكون الوطن الأول للإنسان لكن مع ذلك فقد ظلت معرفة العالم الخارجي بها أو على الأقل بما في داخلها ضعيفا حتى القرن التاسع العشر حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية، فأخذت النقات يكشف عن خبايا هذه القارة، ولذا فقد أطلق البعض على القارة الأفريقية تعبير (القارة المظلمة) أو السوداء أي القارة التي لا يعرف العالم عما بداخلها الشيء الكثير، وقيل إن التسمية ترتبط بسواد بشرة سكانها، **أكثر التفاضيل حول كشف القارة الإفريقية ينظر إلى الفصل الأول من عنوان: مولد إفريقيا المعاصرة لـ: رياض(محمد)، عبد الرسول(كوثر)، إفريقيا–دراسة لمقومات القارة–، الطبعة الثانية 1973، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 25.**

[2] **التبشير**:هو مصطلح مسيحي يقصد به نشر الأنجيل بين مجموعة من البشر في محاولة لتنصيرهم، وتعرف الكنيسة الكاثوليكية التبشير بأنه: "**عمل رعوي موجه إلى الذين لا يعرفون رسالة المسيح**".

- https://ar.wikipedia.org

[3] من مظاهر التبشير المسيحي في إفريقيا، **أنظر إلى الملحق رقم 01.**

[4] **مارتن لوثر**(1483-1546) راهب ألماني، وقسيس، وأستاذ للاهوت، ومُطلق عصر الإصلاح في أوروبا بعد اعتراضه على صكوك الغفران نشر في عام 1517 رسالته الشهيرة المؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من "**العقاب الزمني للخطيئة**"، وأكثر التفاصيل حول مارثر لوثر والإصلاح الديني، **أنظر**: صالح محمد السيد(أشرف)، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، دار ناشري للنشر الالكتروني الكويت، ص 96 وما يليها.

- https://ar.wikipedia.org

لندن التبشيرية واتجه نشاطه للعمل في جنوب إفريقيا وقد أدى نشاطه للكشف عن مجرى نهر الزبيزي وذاع صيته لجهوده في محاربة تجارة الرقيق.[1]

ومن البعثات التبشيرية التي لعبت دورا هاما في مجال الاستعمار بعثة الأب 'سابيتو' (**Sapeto**) الايطالي الذي دخل في خدمة شركة 'روباتينيو' الايطالية وهي الشركة التي كان لها دور بارز في بسط نفوذ ايطاليا الاستعماري في شرق إفريقيا.

وقد اتخذت كثير من الجمعيات التبشيرية من عملها التبشيري ذريعة لبسط نفوذ دولهم الاستعمارية على مناطق شاسعة من القارة بحجة أن هذا ييسر عمل هذه الجمعيات وقد ردد كثير من المبشرين القول بواجب الأب الأبيض (**White Father**) في رعاية الأخ الأسود أو كما ذكر البعض العقل الأبيض (**White Brain**) الذي يجب أن يتعاون مع السود ذوي العضلات (**Black Brawn**)، على أن الأمر تحول لعملية استرقاق واستحواذ حتى أن بعض الجمعيات التبشيرية اشتركت في تجارة الرقيق الإفريقية وإن كان لبعض هذه الجمعيات التبشيرية دور لا ينكر في مجال التعليم و العلاج.[2]

وفي الجزائر يعتبر النشاط الديني من أبرز المشاريع الاستعمارية التي ساعدت الساسة الأوروبيين والفرنسيين على وجه الخصوص في حركة التوسع نحو الجنوب الجزائري، وخاصة

---

[1] **تجارة الرقيق**: هي من الآثار السلبية للاستعمار ومساوئه على القارة الإفريقية، فكانت تجارة الرقيق محنة أصابت القارة الإفريقية، فما أن تم اكتشاف العالم الجديد في أواخر القرن الخامس عشر حتى تبوأت تجارة الرقيق أهميتها ومركزها الكبير كعملية تجارية مربحة جدا، فقد كان الأوروبيون قد وجدوا الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة لكنهم لم يجدوا الأيدي العاملة القادرة على زراعتها، فسكان العالم الجديد من الهنود الحمر لم يتعودوا على العمل القاسي المنظم لمزارع الأوروبيين، كما لم يألفوا الزراعة المستقرة، زيادة على قلة أعدادهم وسعة أراضيهم، فتوجه الغزاة الأوروبيون إلى القارة الإفريقية حيث اعتاد سكانها على العمل الزراعي والظروف الطبيعية القاسية، وامتازوا ببنية قوية وقدرة فائقة على الأعمال الشاقة، ومن هنا بدأت المأساة الإنسانية في الاتجار بالرقيق، **ينظر**: كركب(عبد الحق)، **'الممارسات الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا خلال العصر الحديث تجارة الرقيق- نموذجا'**، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، العدد 35، السنة 2019، مجلة دورية دولية محكمة تعني بالقضايا التاريخية والاجتماعية يصدرها فريق بحث المعارف للدراسات التاريخية والاجتماعية ونشر التراث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط- (موريتانيا)، ص ص(210-228).

[2] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،" **تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص(71-73).

بعد إدراكها بأن الدين الإسلامي عامل قوي وبذلك لعب التبشير المسيحي دورا مباشرا في عملية الاستيطان الأوروبي الفرنسي في الجزائر.[1]

فإذا تفحصنا أهداف الاستعمار الفرنسي بالجزائر نرى أنه تمثل في مظهرين المظهر الأول يتمحور حول الاستيلاء المباشر والمصادرة الشاملة للأراضي الفلاحية عن طريق القوة واستعمال السلاح أي الغزو العسكري، كما أنها اعتمدت أيضا على المدرسة التبشيرية كوسيلة لتحقيق الغزو الفكري للشعب الجزائري كمظهر ثان، وبالتالي تم اجتياح الأرض والفكر معا، وكما أن السياسة التعليمية الاستعمارية تبنت منذ سنة (1830- 1962) عقيدة جعل الجزائر فرنسية، معتمدة في ذلك على التنصير والإدماج[2]، وقد سعت وعملت إدارة العدو لتحقيق أهدافها على تشجيع عمليات التبشير وإقامة دير للآباء البيض عبر التراب الوطني وتحبيب الديانة المسيحية لهم بمختلف الوسائل فأكثروا من توجيه الانتقادات للإسلام وبث الشعوذة والخرافات فعمدت إلى تطبيق سياسة الإبادة الروحية للشعب الجزائري بالقضاء على أصالته العربية الإسلامية لتجعل من الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا فطالب الجنرال 'بيجو' إلى تشجيع عملية التنصير حين قال: (**إن الجزائريين لن يكونوا فرنسيين إلا إذا كانوا نصارى**)، وقد رافق تحويل المساجد إلى كنائس لتمارس فيها الطقوس المسيحية والخطابات الاستفزازية العنيفة والتي جاء فيها: (**إن آخر أيام الإسلام قد دنت و في خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح ونحن إذا أمكنا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا مواطنين لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسحيين جميعا**)[3]، وكانت جميع المؤسسات التبشيرية تعمل بوحي من تصريح الكاردينال "شارل لافيجري" (**Charles Lavigerie**): (**علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل...تلك هي رسالتنا**

[1] عميراوي(أحميدة)، **من تاريخ الجزائر الحديث**، الطبعة الثانية، دار الهدى، الجزائر 2009، ص 137.

[2] تركي (رابح)، **"التعليم القومي والشخصية الوطنية"**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975، ص ص (103-104).

[3] بوالصفصاف (عبد الكريم): "التحولات السياسية في الحركة الوطنية الجزائرية"، **مجلة سيرتا**، السنة الثالثة، العدد **5**، ماي، 1981، ص42.

الإلهية...)[1]، مضيفا من أقواله في هذا الصدد ويصرح أن: (**النشاط الفرنسي بإفريقيا ليس سوى استمرار للآثار اللاتينية، التي بادرت روما بالقيام بها منذ عشرين قرنا خلت، إن التاريخ سيضفي طابع المشروعية على غزونا، لأننا لا نقوم إلا باستعادة عمل متوقف، ولأننا وارثو تاريخ مشرق**)،[2] وبذلك أخذ المبشرون دورهم في القارة الإفريقية في خدمة الاستعمار الأوروبي.[3] ولم تكن كل الأهداف الاستعمارية التي أريد تحقيقها مع الإرساليات والمبشرين معلنة، فهي متعددة الدوافع السياسية والاقتصادية و الدينية والفكرية، هدفها الأساسي تقويض الحضارة العربية الإسلامية ومسخ شخصيتها ودورها، لكي تفتح الطريق للاجتياح الأوروبي والبحث عن الأسواق الاستهلاكية وعن المناجم[4]،- كما سنرى ذلك في العنوان الموالي-.

إذن، اتخذ الاستعمار شكلا دينيا كوسيلة للتسلط الاستعماري، ورأت دول أوروبا كهدف أن تنشر مسيحيتها بين الشعوب خارج أوربا نظرا للعداء الديني الصليبي والنزعة التبشيرية، فاختفى وراء البعثات التبشيرية كقناع لأطماع الاستعمارية ومبرر للغزو الاستعماري.

2. الدافع الاقتصادي ومظاهره

يعتبر الدافع الاقتصادي من أبرز الدوافع للدول الامبريالية لاحتلال وفرض سيطرتهم على الدول المستعمرة، وهو الغالب ليس فقط من أجل ممارسة أشد أنواع الاستغلال، بل لإبعاد المنافسين خارجا، وفي هذا الصدد كتب لينين مصرحا: (**أن الاستعمار بالاستيلاء المباشر هو المفضل عند الامبرياليين لأنه وحده يكفل نجاح الاحتكارات ضد جميع أخطار الصراع مع المنافسين، ذلك أنه يسهل إزالة المنافسة**).[5] وبعد أن تم اختراق أسرار

---

[1] الخطيب (أحمد)، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 55.

[2] مالكي (أمحمد)، المرجع السابق، ص 116.

3 السيد(محمود)، **أفريقيا والأطماع الغربية**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2009، ص 65.

[4] الجودي(أنور)، المرجع السابق، ص11.

[5] وودس(جاك)، المرجع السابق، ص 12.

الجغرافيا في إفريقيا، حيث جاء إليها عدد من المستكشفين والمغامرين والرحالة الأوروبيين، على حسابهم الخاص، أو بتمويل من قبل الجمعيات الجغرافية الخاصة، بدأ الاستغلال الاقتصادي للقارة الإفريقية على أشده.[1]

كانت الحاجة إلى التوسع الاقتصادي والمالي تدفع إلى الغزو الاستعماري الذي يسمح للدولة المستعمرة بالاحتفاظ لنفسها بأسواق لها قيمتها[2] وبالخصوص مع ظهور الثورة الصناعية التي سارت بخطى سريعة نحو الازدهار، الأمر الذي جعل الحاجة إلى المستعمرات ملحة جدا...وفي هذا يقول هوبسن (**Hobson**) الاقتصادي البريطاني: (**إن الاستعمار كان يعزى إلى قوة اقتصادية جديدة، كانت تعمل في معظم الدول الصناعية في أواسط أوربا وغربها..وإن الدافع الحقيقي كان دائما الجشع إلى المواد الخام الرخيصة و الأسواق ومجال الاستثمار" ويواصل هوبسن حديثه حيث يصل إلى: "إن هناك رأس مال فائض بحاجة إلى استثمار و قد تراكم هذا الفائض نتيجة للادخار الكثير**).[3]

في السبعينات من القرن التاسع عشر تعالت صيحات كثيرة لرجال الصناعة المطالبين بفتح أقاليم جديدة وهذا لتصدير المنتوجات الصناعية وكذلك رؤوس الأموال، واصفين المسألة بأنّها حيوية لصناعتهم وذلك في إطار الحرب المستمرة لغزو الأسواق الجديدة، والواقع أن رجال السياسة ردوا عليهم بما يرضيهم ومن هنا انطلقت في ألمانيا السياسة المعبر عنها 'التوجه نحو الشرق'، بينما أطلق جول فيري عبارته الشهيرة: (**السياسة الاستعمارية بنت السياسة الصناعية**)، فرد عليه جوزيف تشمبرلاين (**Joseph Chamberline**) بقوله: (**الإمبراطورية هي التجارة**).[4]

---

[1] عبد الدايم(أحمد حسين)، **الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن 19**، **مجلة قراءات إفريقية**، العدد الحادي والعشرون(21)، سبتمبر 2014، مجلة دولية ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، دولة (مصر)، ص ص(10-20).

[2] جلال(يحي)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، د.ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ص 313.

[3] دياب(أحمد إبراهيم)، المرجع السابق، ص ص(110-112).

[4] شرف الدين(أحمد رضوان)، **محاضرة بعنوان التوسع الاستعماري في آسيا(1870-1914)** بتصرف، أنظر إلى:

- www.onefd.edu.dz/cneg

إذن فالاستعمار كان لحد كبير نتيجة لضرورة اقتصادية، فالعامل الاقتصادي يأتي في مقدمة الدوافع المباشرة للتوسعية الأوروبية"[1] ذلك لأن التصنيع في الدول الكبرى وعلى الخصوص في كل من بريطانيا وألمانيا بعد وحدتها قد نتجت عنه مشاكل منها: [2]

- ضرورة وجود أسواق لبيع الفائض من الإنتاج وذلك لأن الإنتاج بعد استعمال الآلات الحديثة أصبح إنتاجا غزيرا أكثر من حاجة الدول المنتجة.
- أدت الثورة الصناعية إلى تركيز الصناعات في المدن مما أدى بدوره إلى هجرة القرويين للمدن تاركين المزارع مما نتج عنه نقص في المواد الغذائية لسكان المدن الصناعية الذين ازداد عددهم.
- أحست الدول الصناعية بحاجتها الملحة إلى المواد الخام التي يوجد معظمها خارج أوربا.
- كانت هناك صعوبة في بيع المصنوعات في السبعينات من القرن التاسع عشر مما دعاها إلى إيجاد أسواق محتكرة لها لا ينافسها فيها أحد وكذالك إيجاد عملاء تجاريين في الخارج.

لقد وجدت الدول الأوربية حل مشكلاتها هذه، حيث سيطرت على أذهانهم الفكرة التجارية، فكانت كل دولة أوروبية وخاصة فرنسا وبريطانيا، ترى أن حجم التجارة العالمية له حد، وأن توسع إحداهما في تجارتها لا يمكن أن يتحقق إلا على حساب الأخرى، حيث الأسواق المستهلكة لفائض الإنتاج و المواد الخام من مطاط بترول وذهب وقطن وحديد وغير ذلك و مواد غذائية.. وكان أصحاب رأس المال يطالبون حكوماتهم في إلحاح شديد بامتلاك المستعمرات.. وقد أشار احد المؤرخين إلى أن دوافع الاستعمار الأوربي لم تكن هي الحصول على المواد الخام و الأسواق فقط بل ترجع إلى ارتفاع الرسوم الجمركية

---

[1] قنان(جمال)، **التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية**، أعمال الملتقى الدولي حول: **الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي**، فندق الهيلتون 02-2006/07/03، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 50.

[2] رمضان(عبد العظيم)، **تاريخ أوربا والعالم الحديث**، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 74.

المستمر بين الدول الأوربية بعضها البعض، حيث قامت بعض الدول على تدعيم اقتصادها بوضع الحواجز والقيود على بضائع غيرها لتشجيع إنتاجها المحلي بزيادة دخل الدولة.[1]

التوسع الاستعماري، السيطرة : لماذا؟ و كيف؟ غالبا ما وضعت الأسباب الاقتصادية في المقدمة من اجل تفسير الغزو الاستعماري الذي قامت به الدول الأوربية، فيقال أن أوربا كانت بحاجة إلى تأمين تزويدها بالمواد الأولية و إلى إيجاد الأسواق لمنتجاتها وحتى لرساميلها...ولكن هل أن التوسع الاستعماري ضروري للاقتصاد الأوروبي؟ لا شك أن عدة مواد أولية لا يمكن إيجادها إلا خارج القارة الأوروبية ...وبعد عام 1879م بدأ البحث عن الأسواق محركا قويا...وهل احتاجت أوربا المستعمرات من أجل أن توظف فيها الرساميل التي جمعتها بكثافة...ومن الواضح أن الأسواق المالية لباريس و لندن و برلين و فرانكفورت عرفت كيف تقوم في أوروبا أو في المستعمرات بعمليات مثمرة جدا، ولكن الجميع استخدم السلاح المالي من أجل تحقيق الخطط الامبريالية.[2]

خلقت الصناعة المجتمع الذي يحض على الاستعمار ويؤدي إليه كواقع و كمثال، فلقد ولد الانقلاب الصناعي في إرهاصات تغيير اجتماعي من الإقطاع إلى البورجوازية ترمز له الثورة الفرنسية، وجاء هو بعدها بعقدين يقفز بهذا التغيير أي ثورة اجتماعية سياسية، فالانقلاب الصناعي تمخض عن الرأسمالية وخلق المجتمع البورجوازي الرأسمالي الذي هو في صميمه مجتمع تنافسي تملكي وتوسعي...فمنذ عصر النهضة الأوربية كان زمام المبادرة في يد العالم الغربي وكان ذلك العالم يفضل ما تيسر له من القوة المادية، لبسط نفوذه تدريجيا وهو الأقل عددا والأفقر أرضا على الأقاليم الواسعة الشاسعة في العالم القديم والعالم الجديد على السواء.[3]

بدأ اتصال فرنسا بغرب إفريقيا منذ القرن السابع عشر، عندما أقامت المركز والمحطات التجارية وذلك للاتجار بالرقيق وتصديرهم إلى العالم الجديد لبيعهم من أجل

[1] دياب(أحمد ابراهيم)، المرجع السابق، ص ص(110-112).

[2] ولد خليفة (محمد العربي)، **الثورة الجزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 21.

[3] الزيدي (مفيد)، **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر**، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، دار أسامة للنشر والتوزيع، ص 400.

استخدامهم في خدمة الأرض، وقد حققت فرنسا حلمها في بإنشاء إمبراطورية مترامية الأطراف قريبة من الجزائر لتربط حلقات مستعمراتها ببعضها البعض.[1]

وقد بدأت السياسة الاستعمارية بالإخضاع السياسي والاحتكار الاقتصادي فكان الاستعمار في قانون الشعوب كحق الملكية في القانون الخاص، فكما أن الملكية حق مانع كذلك كان الاستعمار حقا مانعا، وكما أن الملكية تعطي لصاحبها حقوق الاستعمال والاستغلال والتصرف كذلك كان الاستعمار يعطي للدولة الأصل حق الانتفاع بسكنى المستعمرة واستغلال ثرواتها وحق التصرف، فقد كانت ترهنها وتبيعها وتتنازل عنها للدول الأخرى[2].

وفي بريطانيا وعلى لسان رئيس وزرائها 'جوزيف تشمبرلين' ذكر صراحة، أن أهداف انجلترا الاستعمارية هي: **(إيجاد أسواق وعملاء للصناعة البريطانية)**.

ولذلك فقد تنافست الدول الصناعية الكبرى من أجل الحصول على الأسواق لتصريف منتجاتها كما أشرنا إليه سابقا وخاصة في البلدان المزدحمة بالسكان والمتقدمة نسبيا في المستوى الاجتماعي، مثل الصين والهند والأقطار العربية.

إن التراكم الصناعي والمالي في أوربا وما ترتب عنه من حاجة إلى: تموين وتمويل وتسويق، وفي ظل عجز شبه كلي لتلبية هذه الاحتياجات دفع بالدول الأوروبية إلى البحث عنها خارج القارة الأوروبية عن طريق الاستعمار كمتنفس وسبيل وحلا وحيدا على خارطة طريق الدول المستعمرة، وقد ظل استغلال البلاد العربية واستنزاف خيراتها هدفا أساسيا للدول الاستعمارية الأوروبية.

ويفسر المؤرخ 'مالكي أمحمد' التوسع الاستعماري وظاهرة الاستعمار في كتابه: "الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي" بقوله:(... إن الذي يميز ظاهرة الاستعمار كما تبلورت مع النصف الثاني من القرن 19م عن مختلف حركات التوسع المتشابهة لها هو أنها محصلة تطور النظام الرأسمالي المعزز بثوراته الصناعية، كما أنها حركة بقدر ما كان

[1] مياسي(ابراهيم)، **توسع الاستعماري في الجنوب الغربي الجزائري 1881-1912**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، مطبعة رويبة، الجزائر1996، ص 152.

[2] حسنين(محمد)، **الاستعمار الفرنسي**، الطبعة الرابعة، الجزائر 1986، ص 75.

هاجسها الاستراتيجي احتلال الأرض ومشتملاتها بقدر ما كان همها المركزي اختراق الإنسان في فكره وثقافته ولغته...).[1]

ففي الجزائر فان الجوانب الاقتصادية قد لعبت دورا قويا في إقدام فرنسا على احتلال الجزائر، وسعت فرنسا إلى نهب وشفط مقدرات ومخزون الدول المستعمرة منذ بداية الاحتلال، من طاقة ومواد أولية وزراعية بهدف إخضاعها وإفقارها، ومنه بسط الهيمنة على أسواقها الداخلية بإغراقها بمنتجاتها الاستعمارية مع فرض الضرائب والرسوم، وبالتالي عرقلة عجلة النمو الاقتصادي والاجتماعي للدولة بتحويلها إلى مجالات حيوية خاصة بها وبالدول الأوروبية الأخرى، أي تفكيك البنية الاقتصادية المعاشية، وإلحاق وربط سوق المستعمرة بسوق الدول المستعمرة والتي ظلت تستثمرها سنوات طويلة من الوجود الفرنسي في الجزائر الذي دام 132 سنة[2].

هذا ما فعلته فرنسا في الجزائر، فإنها لجرمها وطمعها وسوء مقابلتها للاحسان لم تقابل تلك المساعدات التي قدمت لها من طرف الجزائر قبل الاحتلال كدين عليها إلا بما يقابل به اللئيم من أحسن إليه.[3]

لقد كانت النتائج التي ترتبت عن ذلك، كارثة أصابت اقتصاد المستعمرات فالبلدان التي استعمرت حديثا في إفريقيا وأسيا قد ورثت ليس فقط أنظمة اقتصادية متخلفة، بل أنظمة مشوهة، فقد كان التطور الذي حصل في ظل الاستعمار تطورا أدى إلى اقتصاد غير متوازن أبدا وكان هذا التطور أيضا سببا في إفقار الشعوب المغلوبة.[4]

فتوقفت حركة التطور الاقتصادي للمستعمرات، أو كادت أن تتوقف جراء نهب الثروات وجعلها موردا للمواد الخام وسوقا للمنتوجات الأوروبية، فسعت هذه الدول دون هوادة إلى نهب وشفط مقدرات ومخزون الدول المستعمرة من طاقة ومواد أولية وزراعية

---

[1] مالكي (أمحمد)، المرجع السابق، ص ص (132-133).

[2] بوحوش(عمار)، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962** ، الطبعة الثانية2005، دار الغرب الإسلامي، ص 84.

[3] بولحية(نور الدين)، **الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب_الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجا، مجلة آفاق علمية**، المجلد 10، العدد 1 السنة 2018، ص ص (9-34).

[4] وودس(جاك)، المرجع السابق، ص 13.

بهدف إخضاعها وإفقارها، بغية بسط الهيمنة على أسواقها الداخلية وإغراقها بمنتجاتها الاستعمارية مع فرض الضرائب والرسوم الجائرة، وبالتالي يتم عرقلة عجلة النمو الاقتصادي والاجتماعي للدول المستعمرة وتحويلها إلى مجالات حيوية خاصة بالدولة المستعمرة، أي بتفكيك البنية الاقتصادية المعاشية، وإلحاق وربط سوق المستعمرة بسوق الدول المستعمرة، حيث تحولت المستعمرات من كل ما فيها من ثروات لخدمة مصالح الدول الأوروبية على المدى البعيد، وامتصاص ثروات البلاد المستعمرة وبالتالي وجدت دول العالم الثالث عشية انتهاء الاستعمار نفسها تحت ميراث استعماري بصورته التقليدية.[1]

3. الدافع السياسي ومظاهره

لعب العامل السياسي هو الآخر، دورا كدافع مباشر للتوسعية الأوروبي، فالشعور القومي كان يغذي هذا العامل ويتغذى منه في نفس الوقت، فالمد الاستعماري كان تعبيرا عن قوة الدولة القومية من جهة وشحذا للعزة القومية من جهة أخرى، ففرنسا التي تشعر بالمهانة لهزيمتها في عام 1871 وفقدها لأجزاء من ترابها الوطني، كانت تجد في التوسع الاستعماري موضوعا للانتشار ووسيلة لاسترداد مكانتها كدولة كبرى.[2] قد كانت الدول الأوروبية تتنافس على توسيع ممتلكاتها وراء البحار لتدعيم نفوذها الدولي[3]، ونتيجة انتشار الانقلاب الصناعي في القرن 19م وفي الوقت الذي ظهرت فيه الدول القومية نتيجة صراعها مع الإمبراطوريات الرجعية، أن هذه الدول، بعد أن أصبحت دولا صناعية كذلك، أخذت تناضل فيما بينها من أجل الاستيلاء على الأسواق برغبة لا تقل عنها خطورة، وهي رغبة التمتع بارتفاع السمعة السياسية، وذلك نتيجة لنمو الشعور القومي[4]، وكتب أحد الاقتصاديين الفرنسيين في القرن 19م يقول: (**ينبغي أن يحتل التوسع الاستعماري المكان الأول في وعينا القومي إنها مسألة حياة أو موت لفرنسا، فأما أن تستحوذ على**

---

[1] كركب(عبد الحق)، **'الممارسات الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا خلال العصر الحديث تجارة الرقيق– نموذجا'**، المرجع السابق، ص ص(210-228).

[2] قنان(جمال)، المرجع السابق، ص 50.

[3] البطريق(عبد الحميد)، **التيارات السياسية المعاصرة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1974، ص 69.

[4] رمضان(عبد العظيم)، المرجع السابق، ص 71.

مساحات افريقية شاسعة أو تصبح في مدى قرن أو قرنين دولة من الدرجة الثانية)[1]، وفي بريطانيا كان الاعتقاد سائدا أن مسألة المحافظة على المستعمرات، بل السعي لكسب مستعمرات جديدة، إنما هي مسألة حياة أو موت لبريطانيا، وهذا ما عبر عنه'أرنست بيفن'وزير خارجية بريطانيا في سنة 1846 بقوله: (**أن سقوط الإمبراطورية معناه هبوط مستوى معيشتنا إلى حد بعيد)**[2].

إذن، بقيت هذه الآثار السلبية المحددة وبدرجات متفاوتة حتى بعد استرداد الاستقلال الوطني، وخروج الاستعمار وتولي الوطنيين السلطة، واجهتهم المشاكل المتعددة التي هي من مخلفات الاستعمار مثل مشاكل الحدود المصطنعة ومشاكل التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي. -ويندرج تحت هذا العامل كذلك اعتبارات إستراتيجية نبينها في العنوان الموالي-.

4. الدافع الاستراتيجي ومظاهره

وهو ناتج بسبب التنافس بين الدول الاستعمارية مثل بريطانيا و فرنسا منذ أواخر القرن الثامن عشر في مستعمرات الأراضي الجديدة و في البحر المتوسط و تقسيم الدولة العثمانية بين الدول الأوروبية، كل ذلك جعل بعض المناطق و المراكز في إفريقيا هامة من الناحية الإستراتيجية، فالجزائر مثلا وهي تواجه الساحل الفرنسي على البحر الأبيض المتوسط كانت نقطة تنافس بين فرنسا و انجلترا، لأن الأخيرة كان لها نفوذ في تركيا و مصر و منطقة شرق البحر المتوسط و كانت تريد الانطلاق من الجزائر و لذلك سارعت فرنسا لاحتلال الجزائر سنة 1830م، هذا بالإضافة إلى أن موقع القارة الإفريقية يربط أوروبا والأمريكيتين ببقية أنحاء العالم وإن الطرق البحرية عبر إفريقيا أصبحت مطروقة و معلومة لدى الأوروبيين الذين أصبحت لهم مستعمرات و تجارة في الهند وشرق آسيا فلكي تستمر تجارتهم إلى تلك الأرجاء كان عليهم السيطرة على الطرق التي تؤدي إلى هذه المناطق مثل

[1] دياب(أحمد إبراهيم)، المرجع السابق، ص 106.

[2] حلمي محروس(إسماعيل)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر_من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية_**، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، ص 42.

طريق البحر الأحمر الذي تتحكم فيه مصر و طريق غرب إفريقيا و جنوب إفريقيا[1]، وفي هذا الصدد يقول جول فيري رئيس وزراء فرنسا: (**أن السياسة الاستعمارية ضرورية لكي يحصل الأسطول الحربي على مواقع للرسو والتزود بالوقود**)، وأضاف: (**وهذا هو السبب الذي يدفعنا للحصول على تونس والسبب الذي يدفعنا للحصول على سايجون والكوشبن شين، والسبب الذي يدفعنا للحصول على مدغشقر**)، وبفضل المزايا الإستراتيجية لبعض المستعمرات والمساعدات المادية والبشرية التي قدمتها المستعمرات، كسبت انجلترا وفرنسا وحلفائهما الحربين العالميتين الأولى والثانية[2].

إن الأهمية الإستراتيجية للعديد من البلدان الإفريقية والآسيوية وإشرافها على البحر المتوسط والبحر الأحمر، والخليج العربي للساحل الغربي لإفريقيا والمحيط الهندي جعلتها محط أنظار الاستعمار الأوروبي من ناحية، كما اتخذها من ناحية أخرى قواعد عسكرية له في البحر الأحمر بغرض تأمين مواصلاته إلى الشرق الأقصى الآسيوي.

الدرس الثالث:

5. تكوين المستعمرات السكنية

[1] موسي(فيصل محمد)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص 161.

[2] حلمي محروس(إسماعيل)، المرجع السابق، ص ص(42-43).

لم يكن التنافس الاستعماري مقصورا على إفريقيا بل امتد إلى آسيا،[1] فبعد حركة الكشوف و اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا للوصول إلى الهند، سيطر البرتغاليون على تجارة الشرق و بحارها خلال الجزء الأول من القرن السادس عشر.[2]

ومن دوافع تطور الاستعمار الأوروبي هو ازدياد عدد السكان في بعض الدول مما جعل الحكومات والأفراد يعتقدون أن المخرج الوحيد لحل مشكلة السكان وتفريج الأزمة الاقتصادية هو الإقدام على الاستعمار في خارج البلاد لإيجاد مهجر للفائض من السكان واستغلال الأراضي المحتلة[3]، وقد صرحت الدول الاستعمارية الكبرى مثل فرنسا وألمانيا بضرورة الاستعمار لكي تكون المستعمرات كمصرف للزائد من سكانها، ولم تستطع انجلترا أن تجاري فرنسا و ألمانيا في هذا الادعاء لأنها في حاجة شديدة للمهاجرين إليها في ذلك الوقت.. فقد تحدث الكتاب الفرنسيون والألمان بصراحة عن نوعين من المستعمرات:

- المستعمرات السكنية بغرض الإقامة الدائمة فيها.
- المستعمرات الاستغلالية للأغراض الاستثمارية.

لقد دفعت النظم الاقتصادية و الاجتماعية الجديدة في المجتمع الصناعي الأوروبي بالبعض إلى الهجرة من أوطانهم، كما إن ما كان يعانيه المجتمع الأوربي في ذلك الوقت من الصراعات السياسية و الدينية و المذهبية دفع بالبعض إلى الهجرة، فقد لوحظ أن موجات

---

[1] البطريق(عبد الحميد)، **التيارات السياسية المعاصرة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 71.

[2] تم اكتشاف طرق ملاحية جديدة وخاصة رأس الرجاء الصالح، الذي تحولت إليه تجارة الشرق القادمة من الهند وجنوب شرقي آسيا، وكان الاسبان والبرتغاليون يسيطر عليهم دافع سياسي حاقد ضد العرب المسلمين، للقيام بهذه الكشوف الجغرافية، وهو الرغبة في التوسع على حساب العرب، وضربهم في داخل بلادهم، وحرمانهم من الثروة الطائلة التي كانوا يحصلون عليها من تجارة الشرق بمرورها في أراضيهم، وخاصة مصر والجزيرة العربية، مما أضر باقتصاد العرب، بالإضافة إلى رغبة البرتغاليون والاسبان في اقتناء الثروة والتجارة، والتخلص من وساطة العرب وعملائهم الايطاليين الذين كانوا ينقلون تجارة الشرق بسفنهم إلى أوروبا، والوصول مباشرة إلى الهند وأقصى الشرق، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى كالنزعة العدوانية والكيد للعرب داخل بلادهم الأصلية، _**كما وأن سبق ذكره في المحاضرة الأولى_، أنظر**:

- حلمي محروس(إسماعيل)، المرجع السابق، ص 3.

[3] البطريق(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 69.

الهجرة من أوربا تعاصر زمنيا تواريخ الثورات التي حدثت في الفترة من 1830-1848-1880.

وقد كانت أعداد هؤلاء المهاجرين محدودة أو بالطبع كانت الهجرة للمناطق التي تتلاؤم من ناحية المناخ سكنى الأوربيين...ويفرق "كوامي نكروما"[1] بين النوعين من المستعمرات: "مستعمرات للاستيطان ومستعمرات للاستغلال" ويلاحظ في الأول أنها لا تختلف في الأحوال الجغرافية والعنصرية اختلافا كبيرا عن الدولة الأم...أما الثانية فتألفت من جماعات من رجال المال والأعمال وشركات الاحتكار واتحادات رجال الصناعة واتحادات المنجين ورجال الإدارة والجنود والإرساليات التبشيرية...كل هؤلاء قد دفعوا إلى الحياة في ظروف قد تختلف اختلافا تاما عن ظروف وطنهم الأصلي.

لقد كان القرن التاسع عشر -النصف الثاني منه بالذات- يمثل القمة في موجات الهجرة الأوربية، لكن ثبت أن ادعاء بعض الدول بحاجتها الماسة للمستعمرات لتكون مصرفا للزائد من سكانها لا يوجد ما يبرره من الناحية العملية بدليل أن هذه الدول لن تجد من أبنائها من يرغب بمحض إرادته في أن يهاجر إلى تلك المستعمرات، فعمدت الحكومات إلى إرسال المجرمين المحكوم عليهم في قضايا جنائية، كما أن النهضة الصناعية امتصت معظم الأيدي العاملة.

وقد علق أحد الكتاب الفرنسيين فكتب يقول: (**إن المستعمرات لم تفعل إلا أن تقود فرنسا إلى سلسلة من الحروب و كل ما استفدنا من هذه الحروب أنها خدمتنا في أنها أدت إلى أن تفقد فرنسا مستعمراتها**).[2]

خلال القرن 18م عاشت أوربا ثورة في الحركة السكانية ازداد عدد السكان في كل المجتمعات الأوروبية وتأكد لدى الجميع أن النظام الديموغرافي الطبيعي الذي تحكم في الحركة السكانية لقرون طويلة تمّ تجاوزه، وأن عدد السكان في بعض الدول قد تضاعف فعلا

[1] **كوامي نكروما** (1909-1972):مناضل غاني ضد الاستعمار و أول رئيس لغانا المستقلة، من أبرز دعاة الوحدة الإفريقية، **– سأتطرق إلى شخصه بالتفصيل في المحاضرة الرابعة: بعنوان الحركة التحررية في إفريقيا واسيا–**.

- https://ar.wikipedia.org

[2] دياب(أحمد إبراهيم)، المرجع السابق، ص ص(114-118).

خلال هذا القرن، وقد استمرت هذه الثورة السكانية خلال القرن 19م وارتفع عدد سكان القارة الأوروبية من 190 مليون نسمة إلى 300 مليون نسمة فيما بين سنة 1815-1870، ليصل عددهم عند سنة 1914 إلى 450 مليون نسمة و هو ما يشكل نسبة تزيد عن ربع سكان العالم بنسبة 27 بالمائة ومن هنا أصبحت الدول تبحث عن مناطق لاستعمارها حتى تسكن فيها فائض سكانها.[1]

وقد كانت حالة ألمانيا تدعو إلى إقامة المستعمرات السكنية لأن نسبة المواليد فيها كانت أعلى من فرنسا، كما أن أعدادا كبيرة من أبنائها كانوا يهاجرون سنويا إلى الولايات المتحدة فتخسرهم الدولة الأم كمواطنين...وما إن تم تقسيم إفريقيا في مؤتمر برلين (1884-1885)[2] حتى هبطت الهجرة الألمانية هبوطا ملحوظا من 181000 ألف مهاجر عام 1880 إلى 34 ألف مهاجر في عام 1898، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن النهضة الصناعية في ألمانيا أوجدت عملا للجزء الأكبر من العاطلين.

كما أن موانئ إفريقيا والشرقيين الأوسط و الأقصى وجزر البحار و المحيطات كانت لها أهميتها كقواعد للأساطيل الحربية ومازالت مقدم ثقة الأوروبيين شرقيهم وغربيهم وامتدادهم الأمريكي وسوء ظنهم ببعض جعلهم يفكرون في الحروب وضرورة القواعد العسكرية... وفي هذا الصدد يقول المؤرخ 'طومسون'(**Tomson**) في كتابه 'أوربا منذ نابليون': (**إذا قلنا أن الاستعمار قد جر الحرب، فان هذا نصف الحقيقة والواقع أن التهديد بقيام الحرب هو الذي دفع إلى الاستعمار**).[3]

وممكن أن نضيف في هذا الشأن سبب وظرف آخر له علاقة بالأفكار السابقة هو أوضاع الدول الأوربية نفسها فبعض الدول الأوربية كانت لها دوافع تدفعها إلى عملية الاستعمار، ونذكر فرنسا باعتبارها أول دول أوروبية تقيم مستعمرة في إفريقيا في العصر

---

[1] قنان(جمال)، المرجع السابق، 47.

2 حول موضوع مؤتمر برلين وتقسيم القارة إلى مناطق نفوذ في إفريقيا، **ينظر**: كركب(عبد الحق)، **'مؤتمر برلين وآثاره الاستعمارية على القارة الأفريقية خلال الربع الأخير من القرن 19'**، **مجلة قراءات إفريقية**، العدد الثاني والأربعين(42)، السنة 2019، مجلة دولية ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، دولة (مصر)، ص ص(16-29).

[3] دياب(أحمد إبراهيم)، المرجع السابق، ص ص(114-118).

الحديث، فحالة التخلف والظروف الاقتصادية والمعيشية المتردية فيها جعلت الحكومة تفكر في تحويل أنظار الشعب الفرنسي إلى عمل خارجي.[1]

ازدهرت الحياة الاقتصادية بفعل إدخال الميكنة في العمل مع إيجاد الخبرة والتخطيط المحكم جراء الثورة الصناعية التي ساعدت على تحسين ظروف المعيشة للمجتمع الأوروبي فأذى ذلك إلى نمو ديموغرافي ملحوظ وهائل والتي ساعدت في تفشي حالة البطالة أمرا صعبا مما دفع بالدول الأوروبية إلى إيجاد متنفس عبر استعمار دول أخرى لتنشر فيها فائض من سكانها وتقلل من البطالة والمشاكل الاجتماعية وعلى هذا الأساس مثلا استعمرت فرنسا الجزائر وشمال إفريقيا وغربها ووسطها والهند الصينية وهاجر الفرنسيون إليها، ونفس الشيء قامت به باقي الدول الأوروبية الأخرى (بريطانيا- ايطاليا- هولندا...).

6. العوامل النفسية وراء الاستعمار الأوربي

إن الدول كالأفراد يتحكم فيها ما يتحكم في الأفراد من ظاهرات نفسية كشهوة الامتلاك، وحب العظمة والظهور والمباهاة والغيرة، ومحاكاة الغير وأدى هذا التنافس الشديد بين أبناء أوروبا ودولها وحكومتها.

وقد كان الكتاب الانجليز في القرن الماضي يتحدثون عن إمبراطوريتهم التي لا تغيب عنها الشمس و يتضح ذلك أيضا في ضغط الرأي العام الألماني على الزعيم الألماني بسمارك ليخرج بألمانيا إلى ميدان الاستعمار أسوة بانجلترا وفرنسا وغيرهما من الدول الأوربية.[2]

فقد تعاون الرأسماليون الفرنسيون الذين كانت تدفعهم مصالحهم المالية إلى التوسع والعثور على أسواق جديدة ومواد خام ضرورية لهم، مع رجال الجيش الفرنسي الذين كانوا يبحثون عن المغامرات وملئ جيوبهم بواسطة النهب حتى يرتقوا إلى مصاف الشخصيات الراقية في المجتمع الفرنسي، كما أن مجموعة كبيرة من التجار كانت متحمسة لفكرة احتلال

---

[1] القوزي(محمد علي)، "**في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، الطبعة الأولى 1426هـ/2006م، منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان، ص15.

[2] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،"**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار الثقافة للنشر والتوزيع1997، ص 68.

الجزائر والاستيلاء على الأراضي الخصبة بها وزراعة العنب والبحث عن الذهب في المناجم الجزائرية.[1]

لقد برز في هذه الفترة رجال من الساسة المحترفين والمغامرين لهم هيام في إبراز شخصيتهم وإظهارها بأية وسيلة كانت فأخذوا يلحون على دولهم ويدفعونها إلى الاستعمار والتوجه نحو العالم الخارجي للبحث عن المستعمرات وإيجاد أسواق لتصريف المتوجات بحب التوسع العسكري والتفوق السياسي لكسب الثروات الاقتصادية، فكانت القارة الإفريقية والآسيوية هي المجال الحيوي أمام طموحاتهم، من أمثال:(جول فيري– سيسيل رودس– بيسمارك– تاليران– لافيجري...).

7. دوافع ظاهرية تذرعت بها الدول المستعمرة(دعوى نشر الحضارة)

مع ادعاء المستعمرين أنهم غزوا الأرض لنشر الحضارة، وجدنا أن الاستعمار نشر رذائل الحضارة التي أحدثت نتائج مدمرة طغت أحيانا على المحاسن التي تتغنى بها المدرسة الاستعمارية[2]، بعض الكتاب الأوربيين من دعاة الاستعمار رددوا القول بأن الرجل الأبيض له رسالة يقوم بها في إفريقيا وغيرها من بلدان العالم الثالث وهي نشر المدنية والأخذ بيدهم في ميدان الحضارة.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هو هل الحضارة الأوربية هي ما يلاءم دول العالم الثالث ؟ و هل فعلا حرصت الدول الأوربية حين استعمرت الدول العربية وإفريقيا وآسيا على نشر الحضارة فيها أم كان الاستعمار الأوربي استعمارا استغلاليا استنزف مصادر الثورة الإفريقية والآسيوية وحرمهم من ثروات بلادهم.

وقد كانت لدى بعض الكتاب الفرنسيين الشجاعة ليصرحوا أن الفرنسيين في الجزائر لم يفعلوا شيئا إلا أن يعلموا الجزائريين شرب الخمور و قد ذكر الكاتب التونسي دارسي (**Darcy**) سنة 1904 : (**إن توسع الدولة خارج حدودها أصبح شرطا أساسيا**

[1] بوحوش(عمار)، المرجع السابق، ص 85.

[2] صوان(محمد شعبان)، **معضلة التنمية الاستعمارية–نظريات في دعاوي ايجابيات الاستعمار**، الطبعة الأولى 2015، ابن النديم للنشر والتوزيع، ص 100.

لقيام و دوام هذه الدولة ففي عصرنا هذا من لا يتقدم و يسبق الآخرين يتأخر و لابد أن يغرقه الطوفان).

ومن الجانب الثقافي فقد داس الاستعمار الأوروبي على الكثير من التقاليد والمعتقدات الإفريقية، والآسيوية، وعمد الاستعماريون إلى القضاء على التراث الحضاري الإفريقي ومميزاته، وطمس معالم شخصيته وزرع مجتمع غريب ودخيل في عاداته وأسلوب حياته وأخلاقه في المجتمع.[1]

كما صرح وزير المستعمرات الفرنسي 'ألبرت سرو' (**Albert Saro**)(**بأن الاستعمار ما هو إلا عمل من أعمال القوة دعت إليه المنافسة العنيفة بين الأفراد والدول وأنه لا توجد ضرورة للبحث عن أعذار شكلية تحاول الدول أن تبرر بها أعمالها الاستعمارية)**[2].

والنتيجة الطبيعية لذلك تكمن في تحول سيطرة الغزاة الرمزية إلى سلطة وصية وهكذا نشأ شرط إيديولوجي لدى منظري الحركة الاستعمارية يتمثل في موقف المغلوب حيال الغالب بالولاء والوفاء و الارتباط الدائم.[3]

وقد بلغت مجموع ما تمتلكه الدول الأوروبية الاستعمارية من بلاد العالم حتى سنة 1914 ما يقارب 80% من مساحة اليابس عل ظهر الكرة الأرضية، و معنى هذا أن حفنة صغيرة من شعوب أوروبا لم يبلغ عددها أصابع اليدين قد وقفت موقف السيد من مئات الشعوب التي استعمرتها واستعبدتها.[4]

---

[1] كركب(عبد الحق)، **'الممارسات الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا خلال العصر الحديث تجارة الرقيق– نموذجا'**، المرجع السابق، ص ص(210-228).

[2] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،" **تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص (78-79).

[3] ساحلي(محمد الشريف)، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، ترجمة محمد هناد و محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، ص 15.

[4] أبو الفتوح(رضوان)، عفيفي(محمد الهادي)، وآخرون، **أصول العالم الحديث_ منذ النهضة الأوروبية حتى وقتنا الحاضر**_، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة 1974، ص 113.

إذن عطفا على ما سبق، تلكم هي الأسباب الرئيسة والحقيقية للاستعمار الحديث ومظاهره، فالظاهرة الاستعمارية، ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية دفعت بالدول الأوروبية وحفزتها على التكالب الاستعماري ،على المنطقة العربية المطلة على البحر المتوسط والدول الإفريقية جنوب الصحراء، والدول الآسيوية للسيطرة الاقتصادية والثقافية والسياسية عليها، مما أدى بسقوط معظم دولها تحت سيطرتها لفترة طويلة من الزمن، فنتج عنها البؤس، والشقاء، والتخلف للشعوب العربية وكبحها من مسايرة ركب الحضارة والتقدم، ونجم عنه أيضا مشاكل عويصة، مكبلة لها تركتها تتخبط فيها لعقود حتى بعد تحررها من براثنه الاستعمارية، هذا وما يتنافى ومبادئ الحرية والإخاء والمساواة التي نادى بها العصر الحديث.

المحاضرة الثانية

إفريقيا مع نهاية القرن 19م والتنافس الاستعماري على القارة

المحاضرة الثانية: إفريقيا مع نهاية القرن 19م والتنافس الاستعماري على القارة

الدرس الرابع:

أولا: إفريقيا مع نهاية القرن 19م

إن تاريخ إفريقيا الحديث –كما وأن سبق ذكره في المحاضرة الأولى-في جملته يتصل بعلاقة الأوربيين بالذات بهذه القارة تلك العلاقة التي بدأت بمحاولات الكشف عن خبايا القارة ثم انتهت إلى استعمار الأوربيين للقارة ذلك الاستعمار الذي اشتدت حدته حتى كادت الدول الأوربية ذاتها أن تصطدم بعضها بالبعض الأخر في سبيل الاستحواذ على أكبر نصيب من هذه الغنيمة التي ظهر أنها تستطيع أن تقدم للأوربيين خدمات خاصة بعد الثورة الصناعية الكبرى في أوربا وازدياد الحاجة للمواد الخام وللأسواق لتصريف الفائض من الإنتاج، وكذلك بعد كشف العالم الجديد وظهور الحاجة للأيدي العاملة القوية الرخيصة لتعميره لتحقيق الرفاهية للأوربيين.[1]

قد يطول سرد حلقات الاستعمار وشباكه وفخاخه، التي نصبها، واحدة وراء أخرى منذ القرن الخامس عشر حتى الآن ليوقع تحت سيطرته أقطار أفريقيا واحدا وراء الآخر وتكفي الإشارة إلى أن الاستعمار قد بدأ فعلا بطواف البرتغاليين (ورائدهم هنري الملاح) حول القارة الأفريقية وإقامتهم قواعد حربية ونقط ارتكاز في أجزاء متفرقة من السواحل الغربية والشرقية وكانت تلك القواعد على هيئة قلاع حربية حصينة، يعسكر فيها فريق من جنود الاستطلاع، ولم يكن الاستعمار البرتغالي نفاذا في مبدأ الأمر، فقد كانت مقاومة الأفريقيين شديدة، والطبيعة قاسية عنيفة، ولهذا فقد مضت أعوام طويلة، قبل أن يتوافد الرحالة والمكتشفون[2] المزودون بالعلم والمال والخبرة، هؤلاء هم الذين فتحوا الثغرات في

---

[1] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،"**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار الثقافة للنشر والتوزيع1997، ص 5.

[2] وفي هذا المجال المبكر تلمع أسماء كثيرة معروفة، « غوردون » و « ستانلي » و « سبيك » و« لفنجستون »و « لوجارد » و « فارشان » و « سيسيل رودوس » و « برازا »، وقد كان كل منهم

جوانب القارة، تلك الثغرات التي تسلل منها المبشرون بعد ذلك، ومن ورائهم التجار المغامرون، ثم عصابات النهب ثم جيوش الاحتلال.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، كانت أفريقيا تموج بالمكتشفين والمغامرين والمبشرين والتجار الانتهازيين، وأخذ كل منهم يخطط الحدود، ويعد ويزور المعاهدات، ومعاهدات «الحماية »، مع زعماء القبائل البسطاء أو الحكام الذين غلبوا على أمرهم أمام « بنادق البارود » و أخذت الدول الأوربية تؤازر مبعوثيها، وتناصر كل دولة رجالها وتدعي وضع اليد على المساحات المبهمة الواسعة، وكادت الحرب تنشب من أجل التسابق على المستعمرات فانعقد مؤتمر برلين الشهير في عام 1884 وانفض في عام 1885، بعد أن اتفق حكام أوروبا على توزيع المغانم والأسلاب[1].

وتتطلب دراسة مؤتمر برلين لعام 1884-1885 عرضا سريعا للوضع الأوروبي الدولي في الفترة السابقة لانعقاد هذا المؤتمر ويقودنا هذا إلى الرجوع قليلا إلى عام 1871، ذلك العام الذي شهد دخول الألمان فرنسا وكان ذلك نذيرا بإنهاء عهد وبداية عصر جديد بعد هزيمة فرنسا وتخليها عن زعامتها لأوروبا، فقام بسمارك معظم الولايات الناطقة باللغة الألمانية حول (بروسيا) من اجل إنشاء اتحاد يمكن ألمانيا من الدخول في عام الصناعة، وأدى هذا بالفعل إلى ظهور دولة أوروبية جديدة، استطاعت أن تنافس فرنسا عسكريا، وانجلترا صناعيا.

= يعمل لحساب بلده أو لمن يدفع الثمن، مثلما فعل هنري ستانلي « الأمريكي » حينما باع الكونغو للملك ليوبولد الأول البلجيكي ...

[1] عبد العزيز (إسحاق)، **نهضة إفريقيا**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر 1391هـ/1971م، ص ص(78_79).

ثانيا: التنافس الاستعماري على إفريقيا[1]وانعقاد مؤتمر برلين(1884-1885)

1. الدخول الألماني ساحة التنافس الاستعماري يصعد من حدته

عندما حققت ألمانيا وحدتها سنة 1871 بعد انتصارها على فرنسا، بدأت حركة ثورية حولت الشعب الألماني إلى شعب عملي وجه قوته إلى ميادين الصناعة والتجارة واستطاعت الحكومة الألمانية أن تضع سياسة صناعية موحدة.

وبينما كانت الصناعة تتطور في إنتاجها- وجهت الحكومة الألمانية عناية كبيرة لتنمية البحرية الألمانية حيث تضاعفت سفن الإمبراطورية الألمانية في الفترة من 1870-1890 سبعة أمثالها وارتفعت في ألمانيا الأصوات عالية مطالبة بمستعمرات.

ولم يكن أمام ألمانيا من وسيلة لدعم صناعاتها وجعلها تنافس المصنوعات الأوروبية الأخرى إلا بالحصول على مستعمرات غنية تجد فيها المواد الخام اللازمة لصناعتها، ووجدت ألمانيا ضالتها المنشودة في القارة الأفريقية.

وكانت ألمانيا قد تأخرت في مجال الاستعمار وكان عليها أن تتحرك بسرعة لتأخذ نصيبها من القارة الأفريقية.[2]

---

[1] **إفريقيا**: من قارات العالم القديم التي يعتقد البعض أنها قد تكون الوطن الأول للإنسان لكن مع ذلك فقد ظلت معرفة العالم الخارجي بها أو على الأقل بما في داخلها ضعيفا حتى القرن التاسع العشر حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية، فأخذت النقات يكشف عن خبايا هذه القارة، ولذا فقد أطلق البعض على القارة الأفريقية تعبير (القارة المظلمة) أو السوداء أي القارة التي لا يعرف العالم عما بداخلها الشيء الكثير، وقيل إن التسمية ترتبط بسواد بشرة سكانها، **أكثر التفاصيل حول كشف القارة الإفريقية ينظر إلى الفصل الأول بعنوان: مولد إفريقيا المعاصرة ل: رياض(محمد)، عبد الرسول(كوثر)، إفريقيا-دراسة لمقومات القارة-، الطبعة الثانية 1973، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 25.**

[2] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،"**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص(161-163).

واندفع الرأسماليون الألمان إلى سواحل أفريقيا يطلبون من حكوماتهم المراسيم التي تبيح لهم حق الاتجار في المناطق التي يجدونها ملائمة كمجال لنشاطهم، ولم تتردد الحكومة الألمانية في ذلك الوقت عن إجابة رغبتهم بعد أن أخذ الكتاب الألمان يشيرون إلى ضرورة إيجاد مستعمرات لألمانيا لترويج تجارتها[1].

وفي عام 1878 أنشئت الجمعية الألمانية للدراسات الأفريقية في مدينة برلين وأخذ المستكشفون الألمان يعملون في المنطقة بين زنجبار وتنجانيقا. وفي عام 1882 أنشئت الجمعية الألمانية للاستعمار (**German Colonial Society**) في مدينة فرانكفورت وأدى ذلك إلى مضاعفة نشاط الألمان الاستعماري.

وكان هدف هذه الجمعية الدعوة إلى إقامة مستعمرات وتجميع الجهود لهذا الغرض، وتمكنت الجمعية في عام 1884 من إصدار صحيفة باسمها سميت بالصحيفة الاستعمارية، وضمت هذه الجمعية أكثر من عشرة آلاف عضو.

وكان بسمارك الذي دعا إلى مؤتمر برلين حتى عام 1884 يعارض إنشاء مستعمرات ألمانية فيما وراء البحار حتى يظل محتفظا بمكان الصدارة داخل القارة الأوروبية، وقد عطل ذلك بعدة اعتبارات منها الرغبة في تحقيق الأمن للرايخ الألماني وذلك بالابتعاد عن مشكلات الاستعمار التي تؤدي إلى الاحتكاك مع بقية الدول، ومنها عدم اقتناعها بالحصول على مستعمرات لدولة ناشئة مثل ألمانيا، ومنها اعتقاده بأن الألمان ليسوا في وضع يجعلهم يدخلون مجال المنافسة مع البريطانيين. و على هذا ظل بسمارك ردحا طويلا من

[1] حول موضوع الطرف المؤيد لضرورة التوسع الاستعماري، واضطرار بسمارك إلى أن يصبح استعماريا رغما عنه، وحصول ألمانيا على مستعمرات غنية لتوفر لها المواد الخام التي تتطلبها الصناعات الحديثة، وكذا إيجاد أسواق لتصريف منتوجاتها، أنظر:

- جلال(يحي)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الأزرايطة-الإسكندرية، ص ص (384-386).

الـــزمن يعـــارض السياســـة الاســـتعمارية ولكـــن لم يلبـــث أن تغـــير الوضـــع بســـرعة[1] حـــتى أنـــه في غضون عام واحد، كانت ألمانيا قد كونت إمبراطوريتها الأفريقية.[2]

2. النشاط الاستعماري في إفريقيا عشية قيام مؤتمر برلين

قبـــل انعقـــاد مـــؤتمر بـــرلين لعـــام 1885/1884 كانـــت الـــدول ذات الأثـــر الفعـــال في تلـــك الفـــترة هـــي إنجلـــترا وفرنســـا والبرتغـــال، وكانـــت البرتغـــال تـــدعي ســـيطرتها علـــى منـــاطق شاســـعة مـــن القـــارة منـــذ أيام مجـــدها في فـــترة الكشـــوف الجغرافيـــة في القـــرن الســـادس عشـــر، لكـــن احتلالهـــا الفعلـــي لهـــذه المنـــاطق لم يكـــن فعـــالا ومـــؤثرا وبـــدأت إنجلـــترا تعيـــد هـــذه الأمجـــاد في أذهـــان البرتغـــاليين خصوصـــا بعـــد أن ظهـــرت نـــوايا الملـــك 'ليوبولـــد' ملـــك بلجيكـــا في حـــوض الكونغـــو، فشـــجعت بريطانيـــا دولـــة البرتغـــال علـــى إحيـــاء هـــذه الادعـــاءات القديمـــة في المنطقـــة مـــا بـــين خطـــي 12 درجـــة و8 درجـــة جنـــوبا، بـــل راحـــت تســـعى لعقـــد معاهـــدة معهـــا في يـــوم 26 فبرايـــر 1884، ورغـــم أن هـــذه المعاهـــدة قـــد لقيـــت معارضـــة قويـــة مـــن جانـــب البرلمـــان البريطـــاني ولم يعتمـــدها، إلا أن مجـــرد تفكـــير بريطانيـــا في إعطـــاء هـــذه المنطقـــة الحيويـــة مـــن أفريقيـــا كـــان عـــاملا قـــويا في دفـــع عجلـــة التكالـــب علـــى القـــارة الإفريقيـــة، بـــل أحـــدث تقـــاربا بـــين فرنســـا وألمانيـــا للوقوف سويا ضد هذه المعاهدة البريطانية البرتغالية.

وقـــام بســـمارك بعـــرض فكـــرة مـــؤتمر دولي تطـــرح فيـــه مســـألة الكونغـــو وغيرهـــا مـــن المســـائل علـــى بســـاط البحـــث، واشـــتركت كـــل مـــن ألمانيـــا وفرنســـا في توجيـــه الـــدعوة في 16

---

[1] اســـتطاع بســـمارك خـــلال علاقاتـــه الدوليـــة أن يســـاهم بإقامـــة الاســـتقرار الأوروبي الـــذي دام مـــن عـــام 1870و حـــتى عـــام 1890 وضـــمن هـــذه الفـــترة تزعمـــت ألمانيـــا السياســـة الأوروبيـــة، لقـــد نجـــح بســـمارك في صـــرف أنظـــار فرنســـا عـــن التوســـع في القـــارة الأوروبيـــة ولكـــن خلفائـــه الـــذين أغـــرقهم بريـــق القـــوة والنفـــوذ غـــيروا سياســـة ألمانيـــا بعـــد اســـتقالته في 18مـــارس 1890، **أنظـــر**: القوزي(محمـــد علـــي)، **العلاقـــات الدوليـــة في التـــاريخ الحـــديث والمعاصـــر**، الطبعـــة الأولى 1422هـ/2002م، دار النهضـــة العربيـــة، بـــيروت لبنـــان، ص 103.

[2] عطـــا الله الجمـــل(شـــوقي)، عبـــد الـــرزاق إبـــراهيم(عبـــد الله)،"**تاريـــخ إفريقيـــا الحـــديث والمعاصـــر**"، المرجـــع السابق، ص ص(161-163).

أكتوبر 1884 لعقد المؤتمر، وشاءت الأقدار أن تكون بريطانيا مجرد مدعوة لمثل هذا المؤتمر وليست داعية له في الوقت الذي كانت تعد فيه طليعة الدول الاستعمارية في العالم.

وكانت فرنسا قد استقرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر في الجزائر، ثم بدأت تبحث لها عن موضع قدم على الساحل الغربي من القارة، وازداد تطلعها نحو النيجر والجابون وقادها السعي نحو مناطق جديدة إلى بسط نفوذها على جزيرة مدغشقر، وكانت كل هذه الجهود سببا في أن تسلك بريطانيا أسلوبا متشابها حيث سيطرت على بعض المناطق في جنوب القارة حتى نهر أورانج وخليج دالجو في غرب إفريقيا، هذا إلى جانب السيطرة على بتشوانالاند، كما قامت بتدعيم نفوذها في مملكة المتابيلي بوسط القارة، وأخيرا مد السيطرة على منطقة زنجبار في الشرق[1].

وخلاصة القول: إن هذه التصرفات من جانب بعض القوى الأوروبية وفي المناخ الذي سيطر عليه الشك والخوف تجاه القوى الأخرى أن بدأت الخيوط تتجمع والرؤيا تتضح نحو عقد مؤتمر دولي تناقش فيه كافة الاتجاهات ومختلف الزوايا التي يمكن على أساسها أن تبدأ مرحلة توزيع هذه القارة بخدماتها وثرواتها دون أي اعتبار، فانتهزت الدول الأوروبية عملية عقد المعاهدة بين بريطانيا والبرتغال في 26 فبراير 1884 لتكون الذريعة نحو الدعوة لعقد المؤتمر[2].

[1] هريدي تسن(فرغلي علي)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، الكشوف– الاستعمار–الاستقلال**، الطبعة الأولى، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مطبعة الجلال، العامرية الإسكندرية، 2008، ص ص(115-116).

[2] هريدي تسن(فرغلي علي)، المرجع السابق، ص 117.

الدرس الخامس:

ثالثا: التحضير لمؤتمر برلين وأهم انجازاته:

بدأت ألمانيا تخطط لعقد هذا المؤتمر الدولي، وأخذت تتقارب من فرنسا عدوها التقليدي، وذلك من أجل حل مشكلات التقسيم وتنظيم عمليات التوزيع، ووجدت فرنسا في فكرة الألمان لعقد المؤتمر حلا مناسبا، فراحت تؤيد الاقتراح الذي فكر فيه بسمارك في جوان 1884، وبالاتصال بالدول الأوروبية صاحبة المصالح، صار هناك شبه إجماع على الاشتراك في هذا المؤتمر الدولي حتى بريطانيا التي لم تعلم إلا مؤخرا بهذه المساعي الألمانية الفرنسية وافقت أيضا على حضور المؤتمر[1]، فانعقد هذا المؤتمر العالمي الأوروبي لتنسيق النشاط الأوروبي في إفريقيا[2]

بدأت سلسلة من الاتصالات بين الألمان والفرنسيين[3] انتهت بموافقة فرنسا على مقترحات الألمان بشأن بنود المؤتمر في 17 أوت 1984 وتضمنت هذه الأسس:

- حرية التجارة والملاحة في حوض نهر الكنغو.
- تطبيق مبادئ مؤتمر فينا عام 1815 بشأن حرية الملاحة في الأنهار الدولية.
- وضع أسس جديدة للمناطق التي يتم احتلالها في المستقبل ووافقت القوى الأوروبية على عقد المؤتمر الدولي في مدينة برلين، وبالفعل عقد المؤتمر في 15 نوفمبر عام 1884.[1]

---

[1] نفسه، ص ص(117-121).

[2] موسي(فيصل محمد)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص 133.

[3] حول الدبلوماسية الألمانية والفرنسية صوب مؤتمر دولي لتحديد برنامج بعد تبادل وجهات النظر الفرنسية الألمانية،- **المسائل الإفريقية**- أنظر:

- رنوقان(بيير)، **تاريخ العلاقات الدولية(1815-1914)**، ترجمة: **جلال يحي**، الطبعة الثانية 1971، دار المعارف بمصر، ص ص(574-576).

انعقد المؤتمر في مدينة برلين في الفترة من 15 نوفمبر 1884 إلى 26 فبراير 1885، وحضره مندوبو أربع عشرة دولة هي النمسا، والمجر، وألمانيا، وبلجيكا، وإيطاليا، وهولندا، والبرتغال، وروسيا، واسبانيا، والسويد، والنرويج، وتركيا، والولايات المتحدة الأمريكية[2]، وبريطانيا، عقد هذا المؤتمر عشر جلسات كاملة، بدأت الجلسة الأولى في 15 نوفمبر وانتهت الجلسة الأخيرة في 26 فبراير 1885، وهو تاريخ الذكرى السنوية الأولى لتوقيع المعاهدة البرتغالية، وصدرت قرارات المؤتمر في شكل ميثاق عام (**General Act**) تضمن ثماني وثلاثين مادة، ووقعه ممثلو الدول المشتركة في المؤتمر ماعدا الولايات المتحدة الأمريكية، ونصت المادة (38) من ميثاق المؤتمر على أن المواد التي تعتمدها الدول المشتركة سوف تصبح سارية المفعول بعد اعتمادها من كافة الدول ومن أهم المواد التي أقرها ميثاق المؤتمر:

1- تقرير حرية التجارة في حوض الكونغو.

2- الالتزام بحرية الملاحة في نهر الكنغو والنيجر.

3- الاعتراف بدولة الكونغو الحرة، التي أصبحت فيما بعد من ممتلكات بلجيكا.

4- العمل على إلغاء تجارة الرقيق ومطاردتها والقضاء عليها.

5- عدم فرض أية دولة حمايتها على منطقة ساحلية في غرب أفريقيا دون أن تعلن للدول الأخرى الموقعة على الاتفاق.

6- عدم إعلان أية دولة الحماية على منطقة من القارة الأفريقية دون أن تكون هذه الحماية مؤيدة باحتلال فعلي للمنطقة.

إن هذا النص كان وراء جهود ألمانيا، وعلى رأسها بسمارك لحيازة أكبر مساحة ممكنة من الأرض الأفريقية لتعويض التأخر في توسعها الاستعماري.[3]

---

[1] أبو عامود(محمد سعيد)، **العلاقات الدولية المعاصرة**، الطبعة الأولى 2008، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ص 18.

[2] حضرته الولايات المتحدة الأمريكية كملاحظ فقط لأنها كانت في عزلة.

[3] هريدي تسن(فرغلي علي)، المرجع السابق، ص ص(117-121).

- **توزيع مناطق النفوذ في إفريقيا على الشكل التالي:**[1]

أولا: منطقة النفوذ الفرنسي، وتشمل: بلدان شمال إفريقيا الغربي(المغرب العربي باستثناء ليبيا)، و إفريقيا الغربية، وإفريقيا الوسطى والاستوائية.

ثانيا: منطقة النفوذ الانجليزي، وتشمل: غامبيا وسيراليون، وساحل الذهب(غانا)، ونيجيريا في غرب القارة، هذا زيادة عن جنوب إفريقيا وشرقها(زامبيا وزمبوابوي)، وشمالها الشرقي(ملاوي).

ثالثا: منطقة النفوذ البلجيكي، وتشمل: حوض الكونغو الغني بأكمله.

رابعا: منطقة النفوذ الألماني، وتشمل الطوغو، والكامرون في الغرب، ومنطقة جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا حاليا) ، وطانجانيقا(تانزانيا حاليا)في شرق القارة[2].

وبذلك كانت قرارات المؤتمر ذات مستوى عالي فيما يختص بتجارة الرقيق التي لعبت ألمانيا فيها دورا كبيرا وكذلك التجارة الحرة والحاجة لتثبيت الاحتلال في المستعمرات قبل البدء في ضم غيرها لأن مدة انعقاد المؤتمر وهي ستة أشهر قد شهدت أشهر عمليات الضم السريع في تاريخ تقسيم القارة وكان ذلك على يد ألمانيا نفسها، فبينما كان المؤتمر منعقدا فعلا أعلن بسمارك أن حكومته تبسط حمايتها على تلك الأجزاء من شرق أفريقيا التي حصل فيها 'كارل بيترز' وجماعته على معاهدات مشكوك فيها من زعماء مزعومين خلال رحلة واحدة لم تستمر إلا أسابيع قليلة ومن ثم بدأ واضحا للجميع أن لابد من تقسم القارة كلها.

استطاع الملك 'ليوبلد' أن يظفر من المؤتمر بنصيب الأسد، لكن الدول الأخرى التي اضطرت لقبول قرار المؤتمر الخاص بقيام دولة الكونغو الحرة، وعلى رأسها إدارة هيئة الكونغو الأعلى التي يرأسها الملك 'ليوبلد' لم تلبث أن ردت على هذا الإجراء بسرعة وطريقة عملية فبريطانيا استولت على ميناء (لاجوس) في نيجيريا، وعلى (بتشوانالاند) ثم ما لبث أن

---

[1] توزيع مناطق النفوذ في إفريقيا حسب ما جاء في مقررات مؤتمر برلين الثاني، **أنظر إلى الملحق رقم:02**.

[2] القوزي(محمد علي)، "**في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص(116-117).

ضمت نيجيريا كلها إلى أملاكها، وفرنسا كان ردها أنها وجهت عناية خاصة للبعثة الكشفية إلى الكونغو.

وهكذا أسلمت اتفاقية برلين التي وقعتها الدول الأوربية حوض نهر الكونغو الشاسع[1] إلى منطقة جديدة، أطلق عليها اسم دولة الكون تغو الحرة، وبهذا حكم ليوبولد الثاني ملك بلجيكا دولة تترامى أطرافها إلى مليون كم مربع، كما مهدت الاتفاقية لقيام ألمانيا بنشاط استعماري واسع النطاق في أفريقيا جعلها منذ عام 1884 تسيطر على مناطق واسعة جدا في أفريقيا، تشمل جنوب غرب أفريقيا، وتنجانيقا[2] والكامرون وتوجولاند[3] وهليجولاند[4] ذات الموقع الاستراتيجي المهم بالنسبة للدفاع البحري على ألمانيا[5].

ولم يكن ينفض مؤتمر برلين 1885 بعد أن أخذت الدول الأوربية تناصر رجالها، وتدعي وضع اليد على المساحات الشاسعة، والتي كادت أن تؤدي إلى نشوب حرب من أجل التسابق على المستعمرات – إلا وقد اتفق حكام أوربا على توزيع المغانم والأسلاب حيث فازت بريطانيا وفرنسا بنصيب الأسد من تلك الأسلاب[6] أما بريطانيا فإنها قد وضعت يدها من قبل المؤتمر على منفذ القارة الشمالي وهو مصر، واستولت على الطرف الجنوبي (الكاب)، وتمركزت على الهضبة الاستوائية، على شواطئ إفريقيا الغربية، وأما فرنسا سارعت إلى التغلغل في أقطار أفريقيا الغربية والوسطى ولكن الذي أعانها في مؤتمر برلين وهي التي خرجت مهزومة من حرب السبعين- هو عدوها الأكبر "بسمارك" فقد كان يرمي

---

[1] منطقة نفوذ الكونغو البلجيكي، **أنظر إلى الملحق رقم:03**.

[2] حاليا تنزانيا في شرق القارة.

[3] حاليا الطوغو في غرب القارة

[4] حاليا ناميبيا جنوب غرب إفريقيا، **أكثر التفاصيل حول: جغرافية وسكان وتاريخ واستعمار هذه الدول الثلاثة وأخرى، أنظر**: ياغي (أحمد إسماعيل)، شكر(محمود)، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر،_قارة إفريقيا_** الجزء الأول ، دار المريخ للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، 1413هـ/1993م.

[5] هريدي تسن(فرغلي علي)، المرجع السابق، ص ص(117-121).

[6] **أنظر إلى الملحق رقم:04**

من منح فرنسا أوسع مساحة في أفريقيا إلى شغلها وأنهاك قوتها في المستعمرات بدلا من تجمع القوة للانتقام من ألمانيا في أوربا.

وناقش المؤتمر خلال جلساته الرئيسية مسالة حرية التجارة في حوض نهر الكونغو، وهي القضية التي استغرق بحثها أسبوعين، وانتقل المؤتمر بعد ذلك إلى بحث قضية حرية الملاحة في حوض الكونغو والنيجر واستغرقت شهرا كاملا، ثم تأجلت الجلسات بسبب أعياد رأس السنة الميلادية، وعاد المؤتمر ليستأنف أعماله مرة أخرى في السابع من يناير حيث بحث قضية شروط الاحتلال في المستقبل، وبعد مناقشات بين الوفود تمت الموافقة النهائية على مواد الاحتلال الفعلي على أن تكون في فضل مستقل من المرسوم النهائي.

وهكذا تم في مدينة برلين ومن دون حضور ممثلين عن الدول الأفريقية وضع أسس تقسيم القارة الأفريقية، ذلك التقسيم الذي لم يضع في الاعتبار توزيعات القبائل والعشائر فحول أفريقيا إلى وحدات قزمية صغيرة صارت الأساس للحدود الأفريقية الحالية[1].

وهكذا نجد أن هذا المؤتمر قد قسم القارة الأفريقية بشكل ينسجم مع مواقف الدول الأوربية، وأعطى المؤتمر اعترافا دوليا لموقف كان موجودا بالفعل، حيث بدأت الدول بعد المؤتمر التكالب على القارة الأفريقية بشكل عنيف وسريع فأخذت كل القوى تقدم ادعاءاتها على مختلف مناطق القارة[2].

ونتيجة لقرارات المؤتمر شهدت القارة تكالب الدول الأوروبية على عقد اتفاقيات مع زعماء القبائل الإفريقية، ومما يلاحظ أن قرارات هذا المؤتمر كانت سرية ولم تعط للإفريقيين أي اعتبار كأنما إفريقيا قارة خالية من السكان[3].

وتكشف لنا النظرة الشمولية لخارطة إفريقيا قبل انعقاد المؤتمر أن حوالي 10بالمئة من مساحة إفريقيا كانت تحت السيطرة الأوروبية، ولكن الصورة تغيرت بعد المؤتمر حيث بلغت

[1] هريدي تسن(فرغلي علي)، المرجع السابق، ص ص(117-121).

[2] عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق، إبراهيم(عبد الله)، المرجع السابق، ص 291.

[3] القوزي(محمد علي)، المرجع السابق، ص 116.

مساحة الأراضي التي استحوذت عليها الدول الأوروبية الاستعمارية نحو 80 بالمئة من مساحة اليابس على الكرة الأرضية، وهو ما يزيد على ثلاثة أضعاف ما حصلت عليه طوال ثلاثة قرون بعد الكشوف الجغرافية، وبالتالي أضحت كامل القارة الإفريقية تقريبا واقعة تحت السيطرة الاستعمارية[1].

وهذا التكالب يعني بالضرورة الاحتكاك بالقوى الوطنية الأفريقية التي كانت هي الأخرى تسعى لتوحيد الكلمة حول حركات إصلاحية إسلامية، فشهدت أفريقيا في الربع الأخير من القرن التاسع تلك السلسلة المستمرة من الحروب بين القوى الإسلامية والدول الأوربية التي سعت من أجل الاحتلال الفعلي للأقاليم القارة حسب قرارات مؤتمر برلين، وكان الالتحام أمرا محتما، وكان الصدام بين المسلمين والمسيحيين ظاهرة بارزة في تاريخ أفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر، ولم يتوقف الصدام حتى قيام الحرب العالمية الأولى، ومن هنا تظهر قيمة الكفاح الأفريقي المسلح وتتضح الجهود التي بذلها الأفارقة وقواد الجهاد الإسلامي في مقاومة هذه الهجمة الاستعمارية على كل أرجاء القارة وخصوصا في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث بدأت المواجهة بين زعماء المسلمين وقوى الدول الأوربية التي كانت تسعى لوضع أسس الاحتلال الفعلي موضع التنفيذ[2].

[1] حلمي محروس(إسماعيل)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر_من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية_**، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، ص 34.

[2] هريدي تسن(فرغلي علي)، المرجع السابق، ص ص(121-122).

المحاضرة الثالثة

آسيا مع نهاية القرن 19 والاستعمار الأوربي في آسيا

المحاضرة الثالثة: آسيا مع نهاية القرن 19 والاستعمار الأوربي في آسيا

الدرس السادس:

I. التنافس الأوروبي الاستعماري على آسيا

لم يكن التنافس الاستعماري مقصورا على إفريقيا بل امتد إلى آسيا،[1] فبعد حركة الكشوف و اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح حول إفريقيا للوصول إلى الهند[2]، سيطر البرتغاليون على تجارة الشرق و بحارها خلال الجزء الأول من القرن السادس عشر،[3] _كما سيأتي معنا لاحقا عند شرح وتفسير بداية نشاط الاستعمار البرتغالي بآسيا_ثم نافسهم الهولنديون، و انتزعوا منهم تجارة جزر الهند الشرقية و حصلوا منهم على مواقع في الهند وسيلان.

وبعد أن ظهر الانجليز في الهند و الشرق بسبب التنافس الاستعماري، تخلى لهم الهولنديون عن الهند، وركزوا جهودهم واهتماماتهم على جزر الهند الشرقية.

وفي القرنين التاسع عشر، و العشرين قويت حركة الاستعمار الانجليزي في الهند، التي اتخذتها قاعدة للتوسع، و نشطت فرنسا في استعمار الهند الصينية، و حاولت ألمانيا أن

---

[1] البطريق(عبد الحميد)، **التيارات السياسية المعاصرة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 71.

[2] كشف الساحل الإفريقي والوصول إلى الهند، **أنظر إلى الملحق رقم 05**.

[3] تم اكتشاف طرق ملاحية جديدة وخاصة رأس الرجاء الصالح، الذي تحولت إليه تجارة الشرق القادمة من الهند وجنوب شرقي آسيا، وكان الاسبان والبرتغاليون يسيطر عليهم دافع سياسي حاقد ضد العرب المسلمين، للقيام بهذه الكشوف الجغرافية، وهو الرغبة في التوسع على حساب العرب، وضربهم في داخل بلادهم، وحرمانهم من الثروة الطائلة التي كانوا يحصلون عليها من تجارة الشرق بمرورها في أراضيهم، وخاصة مصر والجزيرة العربية، مما أضر باقتصاد العرب، بالإضافة إلى رغبة البرتغاليون والاسبان في اقتناء الثروة والتجارة، والتخلص من وساطة العرب وعملائهم الايطاليين الذين كانوا ينقلون تجارة الشرق بسفنهم إلى أوروبا، والوصول مباشرة إلى الهند وأقصى الشرق، هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى كالنزعة العدوانية والكيد للعرب داخل بلادهم الأصلية، _كما وأن سبق ذكره في المحاضرة الأولى_، أنظر:

- حلمي محروس(إسماعيل)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر_من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية_**، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، ص 3.

توطد نفوذها في آسيا[1]، و اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية بشؤون الشرق الأقصى بعد فرضت سيطرتها على القارة الأمريكية الشمالية و مدت نفوذها إلى المحيط الهادي.

و في أواخر القرن التاسع عشر ظهرت اليابان في الشرق الأقصى كدولة توسعية[2] بعد أن أخذت بأسباب المدنية الحديثة، فنظمت جيوشها و بحريتها على أحدث الأساليب العصرية، و استعانت بضباط أوروبيين في تدريب قواتها البرية و البحرية، و نهضت بصناعتها و تعليمها، فظهرت أطماعها في التوسع على حساب الصين.[3]

أولا: الاستعمار الهولندي بآسيا

1. ظهور الاستعمار الهولندي بآسيا

في عام 1566 ثار الهولنديون على الحكم الاسباني[4]، و دخلوا في سلسلة من الحروب ضد اسبانيا، و قاموا بإعلان استقلالهم عام 1579م، و استغلوا فرصة انضمام أملاك البرتغال إلى اسبانيا عام 1580 فأخذوا يهاجمونها للحصول على بضائع الشرق و بهاراتها، و كان تحطيم الأسطول الاسباني (الأرمادا) على يد الانجليز في نفس العام، من العوامل المهمة التي فتحت أمامهم فرص المغامرة و توافد التجار منهم إلى أرخبيل الملايو منذ عام 1590م و كونوا شركة الهند الشرقية الهولندية المتحدة عام 1602، و منحتها الحكومة الهولندية بحق الاحتفاظ بجيش و أسطول قويين، و تكوين المستعمرات، وممارسة التجارة، و اعتبرتها شركة مساهمة قانونية تخضع لإشرافها هي و قد استعملت هذه الشركة

[1] خريطة توضح الدول الكبرى والتوسع الاستعماري في المحيط الهادي بين القرن 19م إلى سنة 1941، **أنظر إلى الملحق رقم 06**

[2] كدولة كبرى لها خطرها، إذ كانت قد استعانت بخبراء من الأوروبيين لترقية شؤونها وإدخال الحضارة الأوروبية على جميع مرافقها، البطريق(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص ص(71-72).

[3] جموعي(مشري)، **تاريخ العالم الحديث-من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الأولى(1760-1914)**، د.ط، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ص ص(203-204).

[4] كانت هولندا تابعة للتاج الاسباني منذ أوائل القرن السادس عشر، واشتهر أبناؤها بنشاطهم البحري والتجاري، وقامت سفنهم بنقل البضائع الشرقية من موانئ اسبانيا والبرتغال إلى شمال أوروبا، وكسبوا من ذلك ثورات طائلة.

مختلف وسائل المكر و الخداع، و الغزو العسكري للسيطرة على مناطق إستراتيجية في جزر الهند الشرقية (أندونيسيا)[1].

2. بسط النفوذ الهولندي على جزر الهند الشرقية

يعتبر القرن السابع عشر بلا ريب قرن هولندا، فقد طفرت فيه إلى المقدمة كقوة بحرية تجارية استعمارية وقد دخلت الاستعمار من أوسع أبوابه[2]، وقد صمم الهولنديون على امتلاك مناطق الإنتاج في جزر الهند الشرقية و عدم الاكتفاء باحتلال مناطق إستراتيجية محصنة تتحكم في طرق التجارة كما فعل البرتغاليون، و من أجل ذلك أسسوا محطة تجارية في بتافيا (جاكارتا) بجزيرة جاوة، التي تحولت إلى عاصمة لجزر الهند الشرقية منذ عام 1619 م،[3] و أخذت السفن الهولندية تحمل منها خيرات الجزيرة من: بن، شاي، و بهار، و نيلة، و سكر، و جوز، و طيب، و كافور، إلى هولندا و أوروبا. ومن هذه المحطة أخذ الهولنديون يبسطون نفوذهم تدريجيا على كل الجزيرة، و أعانهم موقعها الاستراتيجي وسط أرخبيل الملايو، على مد نفوذهم إلى جزيرة سومطرة في الغرب و جزر البهار الأخرى في الشرق، مثل: صوندا، و مولوك، و جنوب بورنيو، و غينيا الجديدة و مادورا، وتسمانيا، و هي كلها غنية بالمطاط، و التوابل، و السكر، و البن، و الشاي، ولم يأت عام 1641م حتى كان الهولنديون قد سيطروا على ملقا نفسها بالملايو، و احكموا قبضتهم على إمبراطوريتهم الجديدة بجزر الهند الشرقية.[4]

3. السيطرة على سيلان و بعض المراكز بالهند

و في نفس الوقت أخذ الهولنديون يوجهون ضرباتهم إلى البرتغاليين في الهند و سيلان، حتى بعد أن انفصلت البرتغال عن اسبانيا عام 1658م، فسيطروا على سيلان

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 204.

[2] حمدان(جمال)، **إستراتيجية الاستعمار والتحرر**، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، دار الشروق، ص 64.

[3] تم الاستيلاء على جاكرتا واحتلالها في 30 ماي سنة 1619 على يد 'جان بيترز كوين'، أنظر:

- هريدي(صلاح أحمد)، **تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 2009، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 188.

[4] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 205.

وانتزعوها عام 1605م، و سيطروا على تجارة القرفة الواسعة هناك، و طمعوا في تجارة الفلفل التي كانت بيد البرتغاليين في ساحل ملابار الهندي[1].

4. تأسيس مستعمرة الرأس

و نظرا لازدياد نشاط الأساطيل الهولندية بين أوروبا و الهند، فقد ازدادت أهمية رأس الرجاء الصالح بأقصى جنوب إفريقيا،كمحطة لتموين السفن بالماء و الغذاء، فقامت شركة الهند الشرقية الهولندية قلعة في تلك الجهات، و زرعت حولها حدائق الخضروات، و أخذ الهولنديون من ذلك المركز يتوغلون في جنوب إفريقيا، غير أن مستعمراتهم هناك نمت ببطء و بقيت محطة الرأس في يدهم حتى عام 1806م حيث انتزعها منهم بريطانيا[2].

5. اتصال الهولنديين تجاريا باليابان:

و من جزر الهند الشرقية امتد نشاط الهولنديين إلى اليابان في الشرق الأقصى، التي كانت قد فتحت أبوابها للتجارة البرتغالية في القرن الخامس عشر، ثم طردتهم في القرن الموالي بسبب نشاطهم التخريبي و أطماعهم الاستعمارية، و أصدرت قرارا يقضي بطرد الأجانب من بلادها، و لكنها سمحت للهولنديين بعد ذلك بإقامة مركز تجاري في ناجازاكي لما رأت أنهم لا يحاولون التدخل في شؤونها الخاصة، و لا يخلطون بين التجارة و الدين. و ظلوا يمارسون تجارتهم هناك لمدة قرنين كاملين و أصبحوا همزة الوصل بينها و بين العالم الخارجي طوال عهد إقصاء الأجانب عن اليابان.

6. قوة هولندا في الشرق في منتصف القرن السابع عشر

لم يحاول الهولنديون احتكار كل تجارة الشرق مثل البرتغاليين، بل ركزوا اهتمامهم في السيطرة على جزر الهند الشرقية(أندونيسيا). و إحكام قبضتهم عليها، و تركوا الهند للسيطرة و التوسع الانجليزي الجديد.[3]

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 205.

[2] وذلك في فترة الحروب النابليونية، أكثر التفاصيل عن هذا الموضوع راجع: البطريق(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 90.

[3] باعتبار أن هولندا دولة رأسمالية ناهضة أرادت أن تستعين بدولة أوروبية تساندها، فعقدت اتفاقا مع بريطانيا بتقسيم الجزر في جنوب شرقي آسيا فتقوم هولندا بإدارة الجزر الاندونيسية على أن تساهم =

وسيطرت شركة الهند الشرقية الهولندية على هذه المستعمرات طوال القرنين السابع عشر و الثامن عشر، و استعانت بجيش و أسطول هولنديين قويين، و حكام أشداء في حكم هذه المستعمرات الواسعة التي تزيد مساحتها على مليوني كيلومتر مربع، وبلغ سكانها حتى الحرب العالمية الثانية ثمانين مليون نسمة، و استطاعت أن تحصل على أرباح طائلة على حساب الأهالي الذين سلبهم الهولنديون استقلالهم، وسخروهم للعمل دون رحمة أو شفقة، مما دفعهم إلى القيام بثورات عديدة،كما حدث في جاوة عام 1749م، و قامت هولندا باستخدام العنف و الشدة لقمعها و القضاء عليها.[1]

7. سياسة الاحتكار و التسلط:

كان هدف الهولنديين هو الاستعمار و الاستغلال الاقتصادي بالدرجة الأولى، و لذلك ابقوا على العائلات و الأسر الحاكمة بشرط أن يقدم حكامها لشركة الهند الشرقية الهولندية كميات من منتجاتهم و سلعهم التجارية ، وفرضوا عليهم أن يمدوهم على الدوام بحاصلات بلادهم بالأسعار التي تحددها الشركة، و لم يفكروا أبدا في العناية بمصالح السكان الوطنيين ما دام الأمن و النظام مستتبا و تدفق المنتجات مضمونا للرأسماليين الهولنديين. و قلما فكر الهولندي في الهجرة أو الإقامة بهذه الجزر الشرقية أكثر من المدة التي يحددها له التعاقد و عندما يرحل يترك وراءه أسرة من الأطفال المولدين بسبب زواجه المؤقت (زواج المتعة من الوطنيات).[2]

و لما انتشر الفساد في كيان الشركة الهولندية، و تدهورت تجارتها، قامت هولندا بإلغائها و استولى التاج الهولندي على ممتلكاتها، و مخصصاتها عام 1798، و أصبحت جزر الهند الشرقية تابعة مباشرة للحكومة الهولندية التي لجأت بدورها إلى احتكار ثرواتها

رؤوس الأموال البريطانية بالشركة في استغلال تلك الأراضي الاندونيسية، أنظر: السيد(محمود)، **تاريخ جنوب شرق آسيا**، الطبعة الأولى 2004، مؤسسة شباب الجامعة، ص 95.

[1] لقد أخذ الهولنديون يبسطون سلطانهم، وأخذ نفوذهم يتغلغل في أنحاء البلاد، ولما اشتد ساعدهم لجأت إلى فرض سلطانها بالقوة وقامت بتعيين أول حاكم هولندي'بروبرت' من قبل الشركة التجارية ليرعى مصالحها ويسير شؤونها، أنظر: السيد(محمود)، المرجع نفسه، ونفس الصفحة.

[2] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 207.

الطبيعية و الاقتصادية، و أخدت تسخر الأهالي في زراعة أراضيها التي كانت تمثل خمس الأراضي المزروعة في أندونيسيا و فرضت عليهم أن يضعوا تحت تصرف حكومة الهند الشرقية الهولندية جزءا من أراضيهم، و أياما معلومة في الأسبوع يقومون فيها تحت إشراف موظفي الحكومة بزراعة غلال التصدير، فتدفقت من جراء ذلك ملايين الجنيهات على خزينة هولندا.[1]

و في مقابل ذلك نكب الوطنيون الاندونيسيون، و المزارعون في جاوة وسومطرة وغيرهما، و اشتدت وطأة الاستعمار عليهم أكثر من ثلاثة قرون، و لكنهم لم يستسلموا بل كافحوا و ناضلوا و قاوموا، و ظلوا يجاهدون من أجل استقلالهم الوطني[2]، و في الحرب العالمية الثانية غزت اليابان بلادهم، و عندما انسحبت منها عاد الهولنديون إليها، و لكن الشعب الاندونيسي كان قد وصل إلى درجة عالية من الوعي فواصل المقاومة حتى حصل على استقلال بلاده و حريتها عام 1949م.[3]

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 207.

[2] لقد ظل العمال الاندونيسيون على الرغم من الغبن الواقع عليهم أن يشكلوا نقابات لهم ويؤدوا دورا وطنيا ظل يتطور حتى تمكنوا في نهاية المطاف من إقامة دولتهم المجيدة، لقد دفع العمال الاندونيسيون إلى الكفاح ما أحسوا به من بؤس فرضه عليهم الهولنديون إلى القيام بتحركات تحررية لمقاومة الاستبداد والاستغلال الاستعماري الغربي البغيض، أنظر: السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 97.

[3] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 207.

الدرس السابع:

ثانيا: الاستعمار الانجليزي في آسيا

1. في الهند[1]

في أواخر القرن السادس عشر، تدهورت أوضاع إمبراطورية المغول بالهند، بسبب ضعف حكام الولايات و تصارعهم على السيطرة و النفوذ، و استغل الانجليز و الفرنسيون سقوطها عام 1707، فأخذوا يثبتون أقدامهم في الهند لحماية مصالحهم، و تجارتهم، و دخلوا في صراع عنيف فيما بينهم انتهى بانسحاب الفرنسيين، و رسوخ الانجليز فيها على أثر معاهدة باريس عام 1763م.

أ- شركة الهند الشرقية الانجليزية

فخلا الجو لشركة الهند الشرقية الانجليزية التي تأسست عام 1599م و أخذت تبسط سلطانها و نفوذها هناك، و في شرق آسيا، طوال مائتين و ثمانية و خمسين عاما، بحجة التجارة. فانتشرت مراكز تجارية لها في مدارس،و بومباي، و كلكتا، و زحفت إلى أجزاء الهند المختلفة عن طريق المناورات السياسية، و الرشاوي و بالعنف و بالقوة. و اهتمت بشؤون التجارة، و انصب اهتمام موظفيها و حملة الأسهم فيها، على كسب المزيد من الأرباح دون مراعاة لمصلحة الأهالي، فانتشر الفساد، و السلب و النهب، و الرشوة، لدرجة خطيرة، و خشيت الحكومة البريطانية من سوء العاقبة، فاستصدرت عدة قوانين فيما بين أعوام 1773_ 1784 م، و وضعت بمقتضاها أعمال الشركة تحت مراقبتها، و احتفظت بحق تعيين كبار موظفيها، و مع ذلك استمر الظلم، و الفساد،

[1] التوسع الانجليزي والفرنسي في الهند والشرق الأقصى، **أنظر إلى الملحق رقم 07**.

و الرشوة[1]، و واصل الانجليز احتقار عادات و تقاليد الأهالي الهنود، الذين اشتد سخطهم و غضبهم حيث قاموا بثورة عنيفة عام 1858 ضد الحكم الانجليزي.[2]

ب- تصفية شركة الهند الشرقية

و كان لهذه الثورة تأثير كبير على الحكومة البريطانية، فقامت بتصفية الشركة و إنهاء أعمالها، و أخضعت بلاد الهند إلى سلطتها المباشرة كمستعمرة و أصبح لها وزير خاص يدعى وزير الهند، و لعب كل من روبرت كلايف ووارن هستنجر، دورا كبيرا في إنشاء هذه الإمبراطورية الهندية التي أصبحت تابعة للتاج البريطاني منذ عام 1877م، و صارت ملكة بريطانيا تلقب نفسها باسم : ملكة بريطانيا و إمبراطورية الهند، كما صار حاكمها العام يدعى"نائب الملك".[3]

ت- أسلوب الاستعمار البريطاني في الهند:

و قد اتبع البريطانيون الأساليب الاستعمارية الدينية في استغلال البلاد لمصلحتهم و مصلحة بلادهم الخاصة، فضيقوا أفق التعليم، و قصروه على العائلات الخاصة التي تتعاون معهم، و فرضوا اللغة الانجليزية على السكان و حاولوا خلق تفرقة بين أفراد الشعب الهندي، المسلم و الهندوسي، غير أن كل ذلك لم يزد الهنود إلا إصرارا على المطالبة بالحكم الذاتي و الاستقلال، و ظلت الروح القومية تنقد فيهم، و تزعم الطلاب و الأحزاب السياسية حركة المقاومة السلبية، و الثورة المسلحة، و المقاطعة الاقتصادية، و لعب كل من محمد على جناح، و المهاتما غاندي، دورا موجها و قياديا في جهاد الهند حتى اضطرت

[1] اشترك فيها المتطوعون الهنود الذين كانوا يشكلون معظم أفراد جيش الشركة، و بايعوا إمبراطور المغول زعيما عليهم، ولم يستطع الانجليز إخماد هذه الثورة إلا بعد أن استعملوا أقسى وسائل العنف وأساليب الشدة، أنظر: جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 209.

[2] حول أسباب ونتائج الثورة الهندية(1857-1858)، أنظر: عبد العزيز(سليمان نوار)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، ص ص(552-566).

[3] سلامة(موسى)، **غاندي والحركة الهندية**، دون طبعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للطبع والنشر، ص 12.

انجلترا الى الاعتراف باستقلالها عام 1947، و ظهرت إلى الوجود جمهورية باكستان المسلمة، و جمهورية الهند الهندوسية[1].

2. في بورما

و في الوقت الذي كانت شركة الهند تتوسع في الهند امتد نشاطها إلى بورما شرقا، فاستولت عليها و نفي ملكها و حاشيته إلى الهند نفسها عام 1886 و حتى لا تصطدم بريطانيا بروسيا اتفقت معها على الاحتفاظ بإيران و أفغانستان مستقلين لتكون كحاجز للممتلكات البريطانية عن روسيا[2].

3. في الملايو و سنغافورة

كذالك من الهند امتد نفوذ البريطانيين إلى الملايو و سنغافورة و جزر الشرق الأقصى، فقامت شركة الهند بإنشاء أول مركز تجاري لها في جزيرة بينانج عام 1782، و من هذه الجزيرة أخذ البريطانيون يتوسعون في شبه جزيرة الملايو، و سيطرت شركة الهند على شريط ساحلي بها و جعلوا بينانج ولاية مثل : البنغال، و مدراس، و بومباي. وقد عين 'توماس ستامفورد رافلز' حاكما عليها مع هيئة من الموظفين لإدارتها.

وعندما قامت الحرب بين فرنسا و بريطانيا في أوروبا، استولى الانجليز على ملقا، و سيلان عام 1795، و غزوا جاوة و باقي جزر الهند الشرقية عام 1811 ليحرموا حلفاء نابليون من الانتفاع بها، و عينوا 'رافلز' حاكما عاما عليها لمدة ست سنوات، ثم أعادوها إليها بعد انتهاء تلك الحروب و رغم معارضة 'رافلز'.

وقد توسع 'رافلز' إلى الجنوب من بينانج مسافة مائة و خمسين ميلا حيث تتقارب المضايق، و تنازل له حاكم 'جوهور' عن جزيرة سنغافورة بصفة دائمة عام 1819، فسيطرت الشركة عليها و أصبحت تابعة لمركزها الرئيسي في سومطرة، ثم ضمت لإدارة الشركة رغم احتجاجات هولندا.

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 210.

[2] حول تاريخ بورما من الاحتلال إلى الاستقلال ينظر: السيد(محمود)، المرجع السابق، ص ص(27-49).

4. التوسع الاستعماري في المنطقة:

في عام 1826 توحدت سنغافورة، و بينانج، و ملقا، و تكونت مستعمرات الملايو، و المضايق، تحت إشراف حكومة الهند البريطانية، و اتخذت سنغافورة عاصمة لها عام 1830، و أعدت لتكون محطة ترميم للسفن البريطانية الذاهبة و الآتية من الصين و إليها. و في عام 1840 أنشأ المغامر الانجليزي المرتزق 'جيمس بروك'، مستعمرة ساراواك في بورنيو، و ضمت إلى المستعمرات السابقة و استقل بها، و ضاعف مساحتها بالتوسع و بقيت تحت حكم أسرته إلى عام 1946م.

و فيما بين أعوام 1881 و 1888، استولى الانجليز على جزر: ليبوان، و كوكس، و كيلنج، و كريسماس، و على الشمال الشرقي لبروني، و أسسوا منها مستعمرة تابعة للتاج.[1]

ث- سياسة الاستغلال

لقد مارس التجار البريطانيون في هذه المنطقة أعمالا شائنة، و أخدوا يحجزون غلال الأراضي مقدما و يحتكرون تجارة بعض أحواض الأنهار لمنع المنافسة الأوروبية الأخرى، خاصة بعد أن اكتشفت مناجم القصدير في بيراك، و سلانجور و سانجاي.

وشهد عام 1895، بداية فترة الازدهار و الاستثمار الأوروبي على نطاق واسع لمعدن القصدير، و تصنيعه، فتضاعف تصديره، و أدخلت زراعة المطاط، و تقدمت بسرعة عجيبة، و ارتفع إنتاجها من 200 طن عام 1905 إلى 196 ألف طن عام 1920، و كل ذلك لفائدة الاستثمارات و الرأسمالية البريطانية[2].

5. في استراليا و زيلاندا الجديدة

كان البحار الانجليزي المغامر 'كوك'، من أشهر المغامرين الذين وصلوا إلى أستراليا و اكتشفوها، فقام الانجليز بإنشاء أول مستعمرة في سيدني على الساحل الشرقي، و اتخذوها في البداية منفي للمجرمين و غير المرغوب في إقامتهم ببريطانيا، و بعد أن اكتشفت فيها معادن الذهب و الفضة، و غيرها أخد الانجليز يهاجرون إليها جماعات، جماعات، و

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 211.

[2] نفسه، ص ص(111-212).

توسعوا في استعمارها حتى سيطروا عليها كلها. و أسسوا في سيدني ولاية نيوسوث ويلز، و أعقب ذلك تأسيس خمس ولايات أخرى في أستراليا، و أباد الانجليز خلال استعمارهم لاستراليا و توسعهم فيها، معظم السكان الأصليين، و منعوا الشعوب الآسيوية من الهجرة إليها و بعد السيطرة على استراليا سيطر الانجليز على جزر زيلندة الجديدة.

و في عام 1850 منحت استراليا حكما ذاتيا، و تألف في عام 1901 اتحاد فيدرالي من تلك الولايات لتزداد قوة، و ارتفعت عام 1931 هي و نيوزيلاندا من مستوى ممتلكات إلى دول مستقلة دخلت أعضاء في الكومنولث البريطاني .

و في عهد حكومة 'دزرائيلي' المحافظة سيطر الانجليز على جزر : فيجي، و تنجا، و جلبرت، و فينكس، و سالومون، وساتناكروز، و اليس، و هبريد، و كوك، و نيو، و ماناهيكي، و كريسماس، و لاكراوا، و الاتحاد، و فانينج، و بذلك أصبحت معظم جزر القارة الاقيانية تحت السيطرة البريطانية.[1]

6. في الصين

تطلعت انجلترا، كغيرها من دول أوربا، إلى الصين باعتبارها سوقا كبيرة للبضائع الأوروبية، لكن الصينيين كانوا قد تلقوا دروسا أليمة من التجار الأوربيين، منذ وطئت أقدام البرتغاليين، أو شياطين البحر كما يسمونهم، أراضي موانيهم، فتعاملوا معهم بحذر، و على نطاق ضيق، و فرضوا قيودا شديدة على التجارة الخارجية في وقت قوي فيه الإنتاج و العرض من جانب دول أوربا خاصة الصناعية منها، فكانت النتيجة حدوث صدام دموي بين دول الغرب و الصين، و كانت انجلترا أول من شن الحرب عليها، و فتح أبوابها على مصراعيها للتدخل الأوروبي الفاحش الماكر في شؤونها الخاصة.

- **حرب الأفيون:**

و كان الخلاف حول تجارة الأفيون، السبب المباشر في إشعال الحرب بين انجلترا و الصين، فقد كانت شركة الهند الشرقية الانجليزية حتى عام 1833م ما تزال شركة تجارية في

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 212.

الصين، و كان عليها أن تحصل على كميات عظيمة من الفضة لدفع ثمن الشاي و البضائع الأخرى التي تستوردها بريطانيا من الصين نفسها.

وبعد عام 1820 انعكس اتجاه تدفق الفضة بسبب ازدياد مستوردات الصين من الأفيون، و كان يزرعون الأفيون بالهند تحت إشراف الإدارة الانجليزية. و يهربونه إلى الصين بكميات كبيرة ليبيعوه بالفضة التي تتسلمها الشركة منهم لتدفعها ثمنا للشاي المستورد من الصين نفسها و مما زاد الأوضاع سوءا أن معظم الأوربيين الذين يحترفون التجارة مع الصين، كانوا من المتمردين ذوي الأخلاق الفاسدة الشرسة، مما أدى إلى نشوب سلسلة من الأزمات و الحروب كان أفظعها حرب الأفيون الأولى (1840-1842)[1] و الثانية(1856-1860)[2]. و قد كان لإدخال الأفيون إلى الصين، و تعاطي تدخينه، أثره

[1] **حرب الأفيون الأولى (1840-1842م)**: في عام 1839 استولت السلطات الصينية على كميات كبيرة من الأفيون هربها تجار الانجليز و غيرهم إلى كانتونج، فأتلفتها، و كانت قيمتها حوالي ستة ملايين دولار، و اتخذت إجراءات صارمة ضدهم و كان أغلبهم انجليز، فقامت انجلترا بإعلان حرب الأفيون الأولى عليها (1840-1842م) بأسلحتها الفتاكة الحديثة، و أرغمتها على إمضاء معاهدة نانكينج عام 1842، و حصلت بموجبها على احتلال جزيرة هونج كونج، و فتح موانئ: كانتونج، و آموي، و فوشو، و ننج بو، و شنغهاي الصينية، للتجارة الانجليزية، و على تعويض مالي مقداره واحد و عشرون ألف دولار، و امتيازات خاصة للتجار الانجليز، المقيمين بالصين، مثل المحاكمة أمام محاكم غير صينية. و كانت هذه المعاهدة المجحفة بحقوق الصين و شعبها دافعا لدول أوروبا الأخرى لكي يحصل على امتيازات مماثلة فيها، أنظر: جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص213

[2] **حرب الافيون الثانية(1856-1860م)**: غير أن بريطانيا لم تقنع بما حصلت عليه، و لم يكفها تخدير الشعب الصيني و تعريض حياته و مستقبله إلى الانهيار و الضياع،فأعلنت هي و فرنسا هذه المرة حرب الافيون الثانية على الصين (1856- 1860) و أرغمتها على الاعتراف لهما بامتيازات جديدة بمقتضى معاهدة بيكين، نالتها بعد ذلك باقي دول أوروبا الاستعمارية كألمانيا،و أمريكا،و روسيا،وفتحت أبواب الصين على مصراعيها للنفوذ الأجنبي الأوروبي بشكل مثير ومخيف. و انقسمت في أواخر القرن التاسع إلى مناطق نفوذ استعمارية فرنسية وانجليزية وألمانية،و روسية،واتفقت كلها = على سياسة الباب المفتوح. و شهدت الصين حالة من الفوضى و التأخير.فظيعين حتى توحدت في العشرينات من أوائل هذا القرن، وألغت هذه الامتيازات الأجنبية في بلادها، و تعرضت للغزو الياباني في الحرب العالمية الثانية، وبعدها ظهر ماتسي تونغ رائد النهضة الصينية فحررها من سطوة الغرب الرأسمالي، وبعثها من رقادها، وتتقدم اليوم بزعامة في خطوات العملاق الجبار. وكانت ثورتها الثقافية عام 1966 قمة كفاحها من أجل محو غربي أوروبي فيها، جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص ص(213-214).

السيئ على صحة الصينيين، كما أن بيعه أدى إلى خروج الأموال الصينية بالجملة إلى جيوب الأجانب و أحدث ذلك ارتباكا في الميزان التجاري و في اقتصاد الصين، و لذلك اضطرت حكومة الصين إلى إصدار قرار بمنع استيراد الأفيون و اعتباره من البضائع المهربة التي يجب مصادرتها[1].

7. في البلاد العربية

بدأ اهتمام بريطانيا بالمشرق العربي منذ أن أسست شركة الهند الشرقية سنة 1600، فمنذ أن استعمرت الهند بدأت تهتم بالبحر الأحمر والخليج العربي وأطراف البلاد العربية[2] وزاد في اهتمامها حملة 'نابوليون بونابرت' على مصر سنة 1798 التي رأت فيها تهديدا لمصلحها وطرق مواصلاتها إلى مستعمراتها في الهند، فنشطت للقضاء على محاولات فرنسا، وعملت على إخراجها من مصر بالقوة، وإحباط حملتها على الشام، ومنذ أن جلا الفرنسيون عن مصر سنة 1801 رسمت انجلترا لنفسها سياسة ترمي إلى الوقوف في وجه أية محاولة تهدف إلى السيطرة على مصر والعالم العربي، وبقيت طوال القرن التاسع عشر تعمل على بسط نفوذها على المشرق العربي من ناحية، وإبعاد نفوذ كل الدول عنه من ناحية أخرى[3].

بدأت أطماع الانجليز في الشرق العربي أكثر منذ أن وصلوا بسفنهم إلى البحر العربي في مياه المحيط الهند و أسست شركة الهند الشرقية الانجليزية مركزا تجاريا لها و قنصلا في بغداد، و احتلت جزيرة بريم العربية عند مدخل باب المندب عام 1799 و اتصلت انجلترا بأمام مسقط في العالم الموالي لها و عقدت معه اتفاقا تعهد بالأخذ بآرائها عن طريق وكيلها الذي يقيم في مسقط، و إبعاد عملاء فرنسا التي كانت تحتل مصر و على غرار هذه المعاهدة مع أمام مسقط، (عقدت بريطانيا أخرى مع شيخ البحرين، و أحكمت صلاتها

---

[1] نفسه، ص 213.

[2] القوزي(محمد علي)، **دراسات في تاريخ العرب المعاصر**، الطبعة الأولى 1999، الناشر دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، ص 439.

[3] حديبي (إبراهيم)، ابن حديد(الطاهر)، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر(1516-1939)**، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، ص 98.

ببلدان الخليج فيما بين 1820-1839م لتقاوم نفوذ محمد علي المتزايد، و بسطت نفوذها على الكويت عام 1899، و احتلت عدن قبل ذلك عام 1839، واتخذتها قاعدة لفرض سيطرتها على سلاطين العرب و مشايخهم في الجنوب العربي، و استطاعت خلال المائة عام التالية أن تدخلهم تحت نفوذها واحدا بعد الآخر بسلسلة من المعاهدات، و مبالغ من المال، فضلا عن تهديداتها باستخدام القوة.[1]

ولكي تفهم بريطانيا غيرها من الدول الاستعمارية الطامعة بأن منطقة الخليج أصبحت احتكارا لها، ولها فقط، صرح وزيرها في الهند في مجلس اللوردات قائلا:" إننا نعتبر تأسيس أية دولة أخرى قاعدة بحرية أو ميناء حصينا في الخليج العربي عدوانا على المصالح البريطانية، ومن واجبنا أن نقاومه بكل ما لدينا من الوسائل".[2]

ثم كان الكشف عن آبار البترول في جنوب فارس والبحرين وقطر والكويت وأجزاء أخرى من الخليج عاملا قوّي من عزم بريطانيا وتصميمها على الاحتفاظ بنفوذها وسيطرتها على تلك الإمارات العربية، ولم تقف حمى التنافس والتسابق ببريطانيا عند هذا الحد، بل دفعتها إلى العراق[3] الذي رأت فيه مكانا صالحا للتغلغل والنفوذ والاحتكار فبدأت تتسري إليه عن طريق المصالح التجارية والاقتصادية فاهتمت بطرقه البرية والنهرية وأوفدت بعثة لمسح نهري دجلة والفرات، وتجربة الملاحة البخارية فيهما حتى البصرة، ثم أنشأت شركة بريطانية للملاحة النهرية ومدت فيه خطوط البرق والبريد، وحرصت على ترويج تجارتها فيه، كما حرصت على حمايته من نفوذ الدول الأخرى.

لما أدركت بريطانيا أن نفوذها الاقتصادي في العراق قد تمكن وأصبح قويا، كشفت عن مطامعها السياسية على لسان وزير خارجيتها الذي صرح بقوله:"من الخطأ أن يظنّ أن

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص ص(214-215).

[2] حديبي (إبراهيم)، ابن حديد(الطاهر)، المرجع السابق، ص 99.

[3] حول السياسة الاستعمارية الانجليزية في العراق ودول أخرى من البلاد العربية الآسيوية، أنظر إلى: فتال(هند)، سكري(رفيق)، **تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1988، جروس برس للطبع، ص 306.

مصالحنا السياسية تنحصر في الخليج العربي إنها ليست منحصرة في الخليج العربي، ولا فيما بين بغداد والبصرة بل حتى تصل إلى بغداد نفسها".[1]

وبعد دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، قسمت فرنسا وانجلترا أملاكها في البلاد العربية فيما بينها، فأبرمت معاهدة سرية تعرف باسم سايكس بيكو [2]عام 1916 وأعدا مشروعا لتحديد مصير الأجزاء العثمانية التي تدخل ضمن أطماع الدولتين و احتلت بريطانيا العراق و الأردن و فلسطين، و أهدت فلسطين إلى اليهود، بعد أن خدعت العرب و خانت وعودها نحوهم في الاعتراف باستقلالهم رغم وقوفهم إلى جانبها في الحرب و تلك هي وعود المستعمرين.[3]

لقد خرج العرب من مؤتمر الصلح وهم خائبون وتأكدت خيبتهم في مؤتمر سان ريمو المنعقد في 1920/04/20 بايطاليا والذي انتهى إلى القرارات التالية[4]:

- فرض الانتداب البريطاني على العراق وفلسطين.
- فرض الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان.
- الالتزام بوعد بلفور.

---

[1] حديبي (إبراهيم)، ابن حديد(الطاهر)، المرجع السابق، ص 99.

[2] نسبة إلى المندوب الفرنسي 'جورج بيكو' مع المندوب البريطاني 'مارك سايكس'، وبخصوص المباحثات بين الطرفين وحليفتهما روسيا حول اقتسام الممتلكات العثمانية أنظر: صالح منسي(محمود حسن)، **الشرق العربي المعاصر**، الطبعة الأولى 1990، المعادي الجديدة للطبع، ص 5 و مايليها.

[3] فلما شارك العرب في الحرب العالمية الأولى إلى جانب كتلة الوفاق المنتصرة انتظروا تلك الوعود البريطانية والفرنسية والتي تفيد أنهم سيقدمون مساعدتهم للعرب من أجل تكوين دولة عربية موحدة ومستقلة على أن يتم الاتفاق على حدودها النهائية بعد الحرب، أما عرب إفريقيا فطموحهم من وراء مشاركتهم في الحرب كان بصيغة أخرى وهي تقرير المصير؟!، وبعد ذلك شارك العرب من خلال وفودهم في مؤتمر الصلح بفرنسا سنة 1919 وكلهم آمال في تحقيق مطالبهم العادلة وكلهم أيضا متمسكين بالمساعدة البريطانية والفرنسية إلا أن مؤتمر الصلح لم يستجيب لا للدولة العربية الموحدة والمستغلة في المشرق العربي ولا لتقرير مصير غرب إفريقيا؟! حيث لم يتمكن من التخلص من أنانية الدول الاستعمارية وغطرستها، أنظر: حديبي (إبراهيم)، ابن حديد(الطاهر)، المرجع السابق، ص ص(114-121)

[4] عن تقسيم سوريا والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو سنة 1916، **أنظر إلى الملحق رقم 08**

وهكذا نلاحظ أن مؤتمر سان ريمو قد كشف عن حقيقة فرنسا وبريطانيا بالدرجة الأولى لأنه صادق على اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 ووعد بلفور 1917، وأكد أبواب الحرية والتقدم في جميع المجالات هي أبواب مسدودة أمامهم، ونستخلص من ذلك أنه كان من الواجب أن يفقه العرب أن ما أخد بالقوة والإكراه والضغط والتهديد لا يسترجع ولا يسترد إلا بالقوة وما يليها.

الدرس الثامن:

ثالثا: الاستعمار الفرنسي في آسيا

1. اتجاه فرنسا الاستعماري:

كانت فرنسا قد استعمرت مناطق في أمريكا، و في الهند، و لكنها خسرتها بعد حرب السنوات السبع التي انتهت عام 1763، و لم يبق لها بعض جيوب في سواحل الهند الشرقية و الغربية، و بعض جزر صغيرة في جزر الهند الغربية و غويان بأمريكا الجنوبية و لم تستطع حروب نابليون أن تكسبها مستعمرات جديدة وراء البحار.[1]

و في القرن التاسع عشر، نشطت الحركة الاستعمارية في فرنسا، -وكما أسلفنا- فقد ظهر رجال ذو ميول استعمارية أمثال جورج كلمانصو، و جول فيري، و دالكاسي، كانوا يرون أن مركز فرنسا الدولي يتوقف على ما تملكه من مستعمرات، و أيدهم في ذلك كتاب و مفكرون يؤمنون بنفس تلك الميول الاستعمارية، فاندفعت فرنسا إلى ميدان الاستعمار، و استولت على مناطق واسعة في ظروف و مناسبات مختلفة كونت منها إمبراطوريتها الواسعة، و اتبعت في إدارتها طرقا و أشكالا مختلفة و متنوعة، وامتازت فرنسا بأنها تملك في إفريقيا واسيا أراض واسعة تجعلها ثاني إمبراطورية في العالم بعد الإمبراطورية البريطانية.[2]

2. طبيعة استعمارها

لم يتبع الاستعمار الفرنسي أسلوبا واحدا، بل تكيف حسب البلدان و المناطق ففي الهند انشأ الفرنسيون شركات تجارية لاحتكار التجارة المتبادلة بين آسيا و أوروبا، و استلزم ذلك عليهم إقامة قواعد و مراكز عسكرية لحمايتها، وحماية طرق التجارة، و لم تسمح كثافة السكان في تلك المنطقة باتخاذها مستعمرة استيطان، كما أن رقي الحضارة جعل الاصطدام عنيفا بين المستعمرين الأوروبيين، و المواطنين الهنود.

---

[1] حمدان(جمال)، المرجع السابق، ص 71.

[2] البطريق(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 106.

وفي جزر المحيط الهندي، اهتم الفرنسيون بتحصينها، لاتخاذها قواعد عسكرية نظرا لأهميتها الإستراتيجية في شرق إفريقيا، كما استغلوها في زراعة قصب السكر لملائمة مناخها له، أما الاستيطان فلم يكن واسعا.

وفي الهند الصينية، لم يكن مناخها ملائما لاستقرار الفرنسيين ، ولذلك لم يتخذوها كمستعمرة استيطان، و إنما استغلوها زراعيا و اقتصاديا، و اقتصر الاستيطان فيها على رجال الدين المبشرين، الذين يقومون هناك بنشاط تبشيري واسع[1].

3. بداية ظهور الاستعمار الفرنسي في أسيا

بدأ اهتمام فرنسا بتجارة الشرق منذ وقت مبكر فتكونت شركة الهند الشرقية الفرنسية في عهد هنري الرابع، و ظلت هذه الشركة قائمة اسميا حتى عهد 'لويس الرابع عشر'، الذي وجه رئيس وزرائه، 'كولبير' عناية خاصة للتجارة مع جزر الهند الشرقية في إطار سياسة فرنسا الاقتصادية[2]، و تم إنشاء أول مصنع فرنسي في "سورات" بالهند عام 1668، و تركزت أقدام الفرنسيين في بوند يشيري منذ عام 1674م.

سياسة دوبليكس:

وبعد ذلك قامت فرنسا بتعيين دوبليكس حاكما عاما على محطاتها التجارية في سواحل الهند، عام 1738، فأخذ يوسع نفوذ فرنسا في المنطقة بواسطة استغلال المنازعات

---

[1] كان المبشرون الفرنسيون الكاثوليك،يسبقون التوسع الاستعماري الفرنسي في اغلب الأحيان بآسيا، ففي عام 1610م أرسلت فرنسا راهبا جزويتيا، ليستقصي أحوال البلاد الصينية.و قام رهبان مبشرون آخرون من الجزويت الفرنسيين بتمهيد الطريق للحكومة الفرنسية، لكي تفرض احتلالها على كمبوديا نشر مذاهبهم المختلفة، أخذوا يضطهدون المسيحيين في سيام مما أدى إلى تضعضع النفوذ الفرنسي في المنطقة مدة من الزمن، جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص ص (208-220).

[2] تفطنت فرنسا إلى الأرباح الطائلة التي كان يحصل عليها الهولنديون و الانجليز في الهند و الشرق فأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية عام 1664، و شرعت تبني لنفسها قوة تجارية في الشرق، و بدأ التجار الفرنسيون يكونون لأنفسهم شركات تجارية، خاصة لاحتكار التجارة بين أوربا و آسيا، و كونوا في الهند مراكز تجارية لشركاتهم، تحولت فيما بعد إلى مراكز احتلال، مهدت للاحتلال العسكري، و إقامة القواعد العسكرية في المنطقة. ففي البداية أنشأت الشركات وكالة تجارية في سورات، ثم اشترت 113 فدانا جنوب مدارس أسست فيها مركز بوند يشيري عام 1674م، وأسست في البنغال مركز شندر ناجور.

الداخلية، بين الأفراد و الجماعات، و تأييد ذا ضد ذاك، مقابل قبول الحماية الفرنسية وبهذا الأسلوب وقع الجزء الأكبر من جنوب بلاد الهند تحت السيطرة الفرنسية، و خاصة إمارة الدكن الكبيرة.

و عندما قامت حرب السنوات السبع بأوروبا، كان مركز فرنسا بالهند متفوقا على بريطانيا، و لكن انجلترا بفضل سيطرتها على البحار استطاعت طرد الفرنسيين من الهند، أثناء تلك الحروب، بعد أن نجحت في قطع الصلة بين فرنسا و حامياتها الآسيوية، و ذلك وفق معاهدة باريس عام 1763.[1]

و حتى عندما عادت إليها عام 1783، لم يتجاوز نفوذها خمسة مراكز و محطات هي : بونديشيري، و شندر ناجور، و ماهي، و كريكال، و يناؤون ظلت تابعة لها حتى سلمتها إلى الهند عام 1954م.[2]

4. في الهند الصينية

تعتبر الهند الصينية أهم مستعمرات فرنسا في آسيا، و بدأ اتصال الفرنسيين بها منذ عهد لويس السادس عشر، الذي أرسل بعثة تبشيرية إلى كوشين شين في جنوب الهند الصينية، حصل أسقفها من الإمبراطور على حق السيطرة على خليج طوران، و بعض الجزر الموجودة أمامه، و لكن فرنسا لم تستفد من هذا التنازل إلا في عهد نابليون الثالث، الذي اشترك مع انجلترا في حملة عسكرية ضد الصين لإجبارها على منح امتيازات اقتصادية للرأسماليين الأوروبيين، و دينية و ثقافية للمبشرين المسيحيين المخربين.

فاغتنمت فرنسا فرصة هذه الحرب، و احتلت خليج طوران عام 1858، و انتقمت من حاكم فيتنام التابع للصين، الذي أظهر عداوته للأجانب، و المبشرين الأوروبيين، و أقدمت على احتلال سايجون عام 1860م، و أخذت تتوسع بعد ذلك في جنوب الفيتنام، حتى احتلت الأقاليم الثلاثة التي تكون الكوشين شين، و جعلتها تحت إدارتها المباشرة، و تركت جزءا كبيرا من البلاد خاضعا للأسرة الحاكمة.

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 220.

[2] حمدان(جمال)، المرجع السابق، ص 71.

و في عام 1867 أعلن نابليون عن ضم إقليم الكوشين شين إلى فرنسا، بضغط من القوات البحرية و الرأسمالية الفرنسية، لاستغلاله في الميدان الزراعي.

5. توسع فرنسا الاستعماري في الهند الصينية:

و في أثناء التوسع في الفيتنام، احتلت فرنسا الكمبودج عام 1863، و سيطرت على اللاوس بواسطة البعثات التبشيرية و التجارية.

و بعد حرب السبعين في أوروبا عادت فرنسا لنشاطها الاستعماري لتعويض فقدانها للألزاس و اللورين، و توسع نشاطها الاقتصادي، و تروي نهمها الاستعماري و توفر أسواقا جديدة لإنتاجها الصناعي المتزايد و وجدت تشجيعا من ألمانيا، لتصرفها عن فكرة الانتقام، و استعادت إقليمي الألزاس و اللورين و تزعم 'جول فيري' هذه الحركة الاستعمارية الجديدة، و اتخذ إقليم الكوشين شين مركزا للتوسع في الهند الصينية، و استغلت فرنسا حادث مقتل أحد المبشرين الفرنسيين، و شرعت في احتلال الهند الصينية، منطقة، منطقة.[1]

ففي عام 1873 أقام أحد التجار الفرنسيين قلعة حصينة في أحد أحياء هانوي و رفع عليها العلم الفرنسي، فأثار بذلك شعور الفيتناميين و حكومتهم التي احتجت على هذا العمل لدى حاكم الكوشين شين الفرنسي، و قام السكان بقتل أحد الضباط التابعين للبحرية الفرنسية، و هددت فرنسا بالانتقام، و أرغمت حكومة الفيتنام على توقيع معاهدة مجحفة، حصلت بموجبها على الإشراف على شؤونها الخارجية، و لم تكتف بهذا، فقامت باحتلال وادي التونكين، ثم أرسلت حملة عسكرية عام 1833 على اثر مقتل أحد الضباط الفرنسيين، أرغمت حكومة الفيتنام على الاعتراف بالحماية الفرنسية على بلادها و وادي التونكين، كما أرغمت حكومة الصين في العام الموالي على الاعتراف بهذه الحماية، و التخلي عن ادعاءاتها في التونكين، وفتح مدينتين صينيتين في الجنوب للتجارة الفرنسية، و منحها امتيازات واسعة في إقليم يونان، شمال الهند الصينية. و بعد أن فرضت فرنسا

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 222.

سيطرتها على كل مناطق الهند الصينية، عمدت إلى استغلال كل إمكانياتها الزراعية و المعدنية لفائدة اقتصادها الوطني.

و ألفت في عام 1894 اتحادا فيدراليا يضم: الفيتنام و اللاوس، و الكامبودج، و الكوشين شين، و أخضعته لحاكم عام واحد يجمع في يده السلطة على الجيش، و البحرية، و الإدارة، ويعاونه مجلس استشاري استعماري.

6. في جزر المحيطين

تملك فرنسا في المحيط الهادي جزر: كاليدونا الجديدة، و هبريد الجديدة، وتاهيتي، و سوسياتي.و لويوتي، و تواموتو، و شوستربيلد، و بعض الجزر الأخرى الصغيرة، و تملك في المحيط الهندي، جزر: كومور، و ريونيون، و بعض جزر أخرى صغيرة كذلك.[1]

7. في البلاد العربية

أما في البلاد العربية، فقد دخلت في صراع حاد مع بريطانيا، و حاولت احتلال مصر عام 1798م، ففشلت و أخذت تتدخل في شؤون سوريا و لبنان عام 1860م، وأصبح واضحا للعيان أن الشام دخل في منطقة الاحتكار الفرنسي، حتى أنه لما عقد مؤتمر برلين 1878 عملت فرنسا على إبعاد مسألة الشام عن مناقشات المؤتمر، وأعلنت أن أي تدخل من أية دولة أخرى في شؤون تلك البلاد تعده فرنسا اعتداء على مصالحها ونفوذها في الشرق عامة وفي الشام خاصة.

وفي السنوات العشر التي سبقت الحرب العالمية الأولى مضت فرنسا بدعم نفوذها الاقتصادي في سوريا ولبنان، فقامت شركاتها بمد خطوط السكك الحديدية والطرق البرية وإنشاء الموانئ ، وهكذا استطاعت بنفوذها الروحي والثقافي والاقتصادي أن تجعل الدول الأخرى تسلّم بأن سوريا ولبنان منطقة نفوذ فرنسية، واتضح ذلك من تحفظات 'مكماهون' في مراسلاته مع 'الشريف حسين'[2]، ومنحت لها الفرصة بالسيطرة عليهما بعد الحرب العالمية الأولى، بمقتضى اتفاقية سايكس-بيكو بينها و بين بريطانيا_كما أشرنا ذلك سابقا_.

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 220.

[2] حديبي (إبراهيم)، ابن حديد(الطاهر)، المرجع السابق، ص 97.

الدرس التاسع:

رابعا: الاستعمار الأوروبي الآخر في آسيا

1. الاستعمار البرتغالي:

في الوقت الذي بدأت فيه الإمبراطورية الهندية تتدهور أوضاعها في أوائل القرن السادس عشر، شرعت البرتغال في حركة الكشف الجغرافي طريق جديد إليها حول إفريقيا _كما وقد سلف ذكره في بداية الصفحة من صفحات هذه المحاضرة_وفتح 'فاسكو دي جاما'، برحلته الناجحة إلى الهند(1497-1499)[1] الطريق لسيطرة البرتغاليين على المحيط الهندي، واحتكارهم لتجارة الشرق، و تحطيم قوة المسلمين البحرية هناك. وبقي البرتغاليون طوال قرن من الزمن يرسلون سفنهم كل عام إلى مياه الهند لجلب توابلها، و بهاراتها، بأبخس الأسعار، ولتعزيز أسطولهم و مراكزهم الاستعمارية هناك.[2]

- **سياسة الشدة:**

و قد لجأ البرتغاليون منذ البداية إلى قوة السلاح، و مختلف وسائل العنف و الشدة، لفرض سيطرتهم و سيادتهم على بلدان الشرق، فأرسلوا بحارة أشداء، مدججين بالسلاح الحديث، مدربين على السلب، و النهب، و الخطف، و الخداع. و ساعدهم الحظ بتفكيك الإمبراطورية الهندية، وانشغال العرب و المسلمين بمحاربة الأتراك العثمانيين بغرب آسيا، فقاموا بتحطيم أساطيل العرب و البنادقة العاملة في المحيط الهندي، واستولوا على جوا، و دماو، في شواطئ الهند الغربية.[3]

---

[1] حول مراحل كشف طريق رأس الرجاء الصالح للوصول إلى الهند والرحلات التي قام بها كل من 'هنري الملاح'- 'بارثلميوديناز'- و'فاسكو دي جاما'، ينظر: حلمي محروس(إسماعيل)، المرجع السابق، ص ص(4-7).

[2] ولتأمين طرق التجارة إلى الهند، فقد ساعدت عوامل عديدة في دفع البرتغاليين إلى ذلك، وفي نجاحهم في السيطرة على إفريقيا والسواحل الهندية، ومنها: العامل الاقتصادي- العامل الديني- العامل السياسي- وزيادة المعلومات الجغرافية والعلمية، أنظر: حميدي(جعفر عباس)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، ص ص(69-75).

[3] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 225.

- **السيطرة على المنافذ البحرية في بلاد العرب:**

قام البرتغال بالتوسع على حساب العرب أساسا سواء تجاريا أو استراتيجيا[1]، و حاولوا السيطرة على المنافذ البحرية الإستراتيجية في المنطقة لفرض سيطرتهم و القضاء على النفوذ العربي الإسلامي، فاستولوا على جزيرة هرمز في مدخل الخليج العربي الفارسي، و جزيرة سوقطرة قرب مدخل البحر الأحمر عام 1506م، و لكنهم عجزوا عن احتلال عدن، و جدة في البحر الأحمر.[2]

- **التوسع في جزر الهند الشرقية:**

و اتخذ البرتغاليون من مراكزهم بالهند، قواعد لنشاطهم التوسعي الاستعماري في الشرق الأقصى، جعلوا "جوا" في غرب الهند عاصمة لهم، وركزوا فيها حامية عسكرية كبيرة، وبنو بها دار لصناعة السفن، و الأسلحة، ثم أبحروا شرقا إلى ملقا، بالملايو، عام 1511م، و سيطروا عليها، و مسكوا بمفتاح جزر الهند الشرقية التي تشتهر بأحسن أنواع التوابل، و جوز الطيب، و القرنفل. وبعدها استولوا على جاوة، و أنشئوا بها مراكز تجارية لهم.

و في سومطره، و بورنيو، و جزيرة تيمور عام 1580م، و بذلك انفتح أمامهم الطريق إلى الصين[3] و سيلان[1].

---

[1] حمدان(جمال)، المرجع السابق، ص 55.

[2] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 225.

[3] وصلت طلائع سفن البرتغاليين إلى كاتنون بالصين عام 1515م، فحصلوا من حكومتها على امتيازات واسعة، مثل التي كانت للمسلمين هناك، و في العام الموالي، اتصلوا بمملكة سيام كذلك، لنفس الغرض.غير أن البرتغاليين سرعان ما اظهروا نواياهم العدوانية التي لم تعتدها الصين من المسلمين فقاموا بتحصين المواقع التي تمركزوا بها، و اخذوا يشنون الغازات على القرى الصينية للسلب، و النهب و القتل، و التدمير، مثلما كانوا يفعلون بالهند و جزر الهند الشرقية، و الخليج العربي، و حصلت بينهم و بين الصينيين حروب و مشاكل، و احتلوا جزيرة ماكاو عام 1557م قرب كاتنون، ووضعوا بها حامية عسكرية، ما تزال بها حتى اليوم. أما اليابان ،فقد فتحت أبوابها لهم مثل الصين، و عندما اكتشفت نواياهم التوسعية، التخريبية، طردتهم من بلادها في أوائل القرن السادس عشر، جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص ص(226-227).

- **الإمبراطورية البرتغالية بالشرق**

ظلت السفن البرتغالية تذهب و تجيء بين لشبونة و الشرق، محملة بالتوابل و البهارات، و كل بضائع آسيا، و أصبح حاكم البرتغال بالشرق يحمل لقب نائب الملك، و يتخذ مركزه في جوا، بساحل الهند الغربي.

و لكن هذه الإمبراطورية البرتغالية بالشرق سرعان ما تحطمت، ولم يقدر لها أن تعمر طويلا، إذ سرعان ما سقطت بيد اسبانيا، و تكالب عليها الهولنديون و الانجليز حتى توزعوها و اقتسموها. و كان من جملة أسباب تحطيمها:[2]

- فساد الإدارة البرتغالية.
- انتشار الرشوة و المحسوبية بين الحكام.
- تعصب البرتغاليين و قسوتهم ضد الأهالي.
- ارتفاع نسبة الوفيات فيما بينهم.
- ظهور أطماع الهولنديين، و الانجليز، و الفرنسيين في الأخير.

و لم يبق للبرتغال في آسيا من مستعمراتها سوى جزيرة ماكاو بالصين، و جزر تيمور بالأرخبيل الأندونيسي.

2. الاستعمار الاسباني

بعد عشر سنوات من سيطرة البرتغال على ملقا، قام مغامر برتغالي ساخط على حكومته، يدعى 'فرديناند ماجلان'، برحلة على نفقة اسبانيا حول أمريكا الجنوبية، وعبر المحيط الهادي إلى الجزر التي أصبحت تدعى من ذلك التاريخ: الفيليبين، نسبة إلى 'فيليب' ملك اسبانيا، في شرق آسيا.[3] و لم يكن الاسبان آنذاك يهتمون بهذه البلاد، و لا بالصين نفسها، و لكنهم يسعون للحصول على نصيبهم من جزر البهار، التي ادعى 'ماجلان' أنها

---

[1] كذلك نزل البرتغاليون بسيلان، واحتلوا بها مراكز ساحلية، و سيطروا على إنتاجها الزراعي، خاصة القرفة التي يزدهر إنتاجها هناك، و ساعدهم ذلك على فرض سيطرتهم على تجارة المناطق الساحلية بخليج البنغال، جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص227.

[2] نفسه.

[3] حمدان(جمال)، المرجع السابق، ص 61.

تابعة لنصف الكرة الغربي طبقا لخط تقسيم الحدود الذي وضعه البابا بين اسبانيا و البرتغال.

ولما كانت جزر الفيلبين، و جزر البهار(أندونيسيا)تقع في دائرة نفوذ البرتغال، فقد عمل البرتغاليون على إحباط المحاولات الاسبانية التي تريد غزوها و السيطرة عليها، و لكن الاسبان استولوا على ميناء مانيلا عام 1571، و اتخذوه مركزا تجاريا كبيرا، و شجعوا تدفق السلع الاسبانية إليه، و نشروا العملة الفضية المكسيكية، ولم يأت عام 1576 حتى كان الاسبان قد سيطروا على كل جزر الفيليبين. و بعدان ورث 'فيليب الثاني' ملك اسبانيا عرش البرتغال عام 1580م، أصبح لاسبانيا الحق في الاتجار مع موانى الشرق، و جعلت مينا مانيلا عاصمة لإمبراطوريتها هناك، و تعرضت لمنافسة الهولنديين، و الانجليز، فاستولى الهولنديون لمدة قليلة على بعض القواعد، واستولى الانجليز في حرب السبعين على مانيلا، ثم أعادوها إليها بعد انتهاء الحرب[1].

وفي خلال القرن التاسع عشر، انهارت شخصية الاسبان، و ضعفت قدرتهم كثيرا و فقدوا سيطرتهم على معظم مستعمراتهم في أمريكا اللاتينية و ارتكبوا أشنع الجرائم والمجازر ضد السكان[2] الذين كانوا يقودون الثورات من أجل التحرر والاستقلال وحتى الرهبان و القساوة، لم يتورعوا عن ارتكاب مثل هذه الجرائم في سبيل المحافظة على غطرستهم، ونفوذهم الديني و الاجتماعي.

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص ص(228-229).

[2] وقد قام الأسبان بمذابح، و مجازر واسعة ضد السكان الصينيين الذين كانوا يقدمون إلى مانيلا لغرض التجارة، مما أدى بالصين إلى فرض قيود ثقيلة مشدودة على التجار الاسبان في بلادها و بقيت جزر الفيليبين تحت سيطرة اسبانيا طيلة ثلاثة قرون و عشرين عاما،و لعبت الكنيسة الاسبانية دورا كبيرا في صبغ الأهالي بالصبغة الاسبانية،فأوفدت إليها إتباع مذهب 'اوغسطين'، و 'الفرنسيسكان'، و 'الدومينكان'، و خصصت مساحات واسعة من الأراضي للإشراف و الإقطاعيين الذين كان لهم الحق في الإبقاء على عبيد الأرض أو قتلهم، و كان اسبانيا تأثير كبير على الحياة الاجتماعية و الثقافية في جزر الفليبين أكثر مما كان للأمريكان بعد ذلك و كان الحاكم العام الاسباني، هو رئيس الحكومة، و المحكمة العليا و كانت المناصب الإدارية تباع و تشترى، و كان الرهبان و القساوة هم الحكام الحقيقيون يحوزون تحت تصرفهم أخصب الأراضي، و يتحكمون في السكان كما يشاءون بعيدا عن تسامح الدين، وقانون الحضارة، نفسه، ص ص(228-229).

وظلت اسبانيا محتفظة بسيطرتها على جزر الفليبين حتى فقدتها عام 1898، أثناء حربها مع الولايات المتحدة الأمريكية، وانهزامها أمامها، وفقدت معها كوبا، وبورتوريكو واحتلت كلها الولايات المتحدة الأمريكية.

3. الاستعمار الألماني

حاولت ألمانيا أن تأخذ نصيبها من الممتلكات الاستعمارية في الشرق الأقصى فاستولت على جزء من غينيا الجديدة، و على بعض جزر ساموا، و أرخبيل بيسمارك في المحيط الهادي عام 1898، و دخلت في حرب مع الصين في نفس العام من أجل الحصول على الامتيازات التي كانت لغيرها، و نجحت في الحصول على منطقة نفوذ لها هناك.[1]

و تطلعت إلى الاستعمار في البلاد العربية، و الدولة العثمانية بغرب آسيا، و حاولت أن تبسط سيطرتها الاقتصادية في أراضي الدولة العثمانية، وحصلت من السلطان العثماني على امتياز مد خط حديدي بين اسطنبول والبصرة، تمهيدا لخط برلين- بغداد، ولكن انجلترا تصدت لمواجهتها، و إيقاف نشاطها، خوفا على مصالحها الاستعمارية في العراق، و مياه الهند، و استعملت نفوذها لدى الدولة العثمانية حتى قبّل المشروع، و لم تلبث انجلترا أن سيطرت على العراق خلال الحرب العالمية الأولى، و فرضت الانتداب على فلسطين، و شرق الأردن، على أن ألمانيا و إن فشلت في البلاد العربية فقد نجحت في إيجاد منطقة نفوذ حقيقة لها بالصين فقد دخلت في صراع مع الدول الأوروبية على النفوذ و السيطرة بها و اشتركت في تقديم القروض لها في عامي 1896- 1898م، و سعت لتنفيذ مشروعات عمرانية بها قبل عام 1895م[2]، و اغتنمت فرصة مقتل اثنين من المبشرين الألمان عام 1897، و تدخلت بقوة، فأنذرت الصين من مغبة هذا العمل و أنزلت قواتها على بعض شواطئها، و حصلت منها تحت التهديد يوم 6 ماي 1898 على الامتيازات التالية:[3]

- حصولها على ميناء تسنج تاو، و الأراضي المحيطة بخليج كياو تشاو، و جعله قاعدة حربية لها مقابل أجر.

---

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص ص(229-230).

[2] حديبي (إبراهيم)، ابن حديد(الطاهر)، المرجع السابق، ص ص(65-66).

[3] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص 230.

- ترك منطقة محايدة لمسافة خمسة كيلومترات خلف المنطقة السابقة المؤجرة على أن يكون لألمانيا الإشراف عليها كتأمين لميناء تسنج تاو، و اعتبار اقليم كاتنونج منطقة مصالح ألمانية.
- حصول ألمانيا على امتيازات التعدين، و إنشاء السكك الحديدية.

المحاضرة الرابعة
حركات التحرر في إفريقيا وآسيا

المحاضرة الرابعة: حركات التحرر في إفريقيا وآسيا

الدرس التاسع:

أولا: الكفاح الوطني الإفريقي والتطورات الدولية:

منذ بداية الغزو الاستعماري الأوروبي وقفت الشعوب الأفريقية بكل طاقاتها ضد الغزاة، لكن هذه الوقفة اتسمت في بدايتها بالطابع القبلي غير المنظم وكان قادتها رؤساء القبائل والزعماء المحليون وأهدافها محددة في الدفاع عن أرض القبيلة ومصالحها، وغالبا ما كانت هذه المقاومة على شكل هبات لمقاومة حالة من حالات الاضطهاد والاستغلال، ولم يكن بمقدورها مواصلة المقاومة لفترة طويلة بسبب الشراسة والوحشية التي قوبلت بها من قبل الدولة الاستعمارية الذي كبدت المستعمرين خسائر ملحوظة في الأرواح والمعدات.

حدث تطور في المقاومة الأفريقية نتيجة لنمو الوعي الثقافي والسياسي لدى الشعوب الأفريقية، وهناك العديد من العوامل التي أسهمت في نمو هذا الوعي وتطوره إلى حركات وطنية منظمة وفعالة.[1]

كانت الأوضاع التي وجد مختلف الوطنيين الإفريقيين أنفسهم فيها خلال سنوات ما بين الحربين في جوهرها متماثلة، و هي الحرمان من الحربات السياسية و الاجتماعية، و استغلال الموارد البشرية و المادية لمصلحة الحكام الأجانب، و عدم وجود المرافق و الخدمات التي يمكن أن تسهم في النهوض بالمجتمعات المستعمرة سياسيا و اجتماعيا.

و في الاتجاه لهده الأوضاع التي خلقها المستعمرون كانت هناك تطلعات الوطنيين إلى استرداد سيادتهم و استقلالهم المفقودين، و إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية لمجتمعاتهم حتى يكون للممارسة الحريات المدنية معنى صحيح.

[1] حميدي(جعفر عباس)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، ص 122.

وقد أسفر المؤتمر الدولي الذي عقد تحت رعاية الكومينترن في بروكسل في سنة 1927 عن تشكيل رابطة مناهضة الاستعمار من أجل الاستقلال الوطني (المعرفة برابطة مناهضة الامبريالية). و قد حضر المؤتمر حوالي 180 مندوبا من أوروبا الغربية و أمريكا الشمالية و الوسطى و الجنوبية و منطقة الكاريبي، و من آسيا و إفريقيا و قد جمع المؤتمر بين الشيوعيين و بين المجموعات الاشتراكية اليسارية مثل حزب العمال المستقل و المثقفين الراديكاليين الاشتراكيين و ممثلين عن الحركات الوطنية في الأراضي الخاضعة للاستعمار[1].

كان ممثلو إفريقيا يضمون مصالي الحاج و الحاج علي عبد القادر (المغرب) و محمد حافظ بيك رمضان و إبراهيم يوسف (مصر) و الأمين سنغور (إفريقيا الغربية الفرنسية) و جومو كينيانا (كينيا).

وفي مقابل جميع هذه القوى التي كانت تعمل من أجل النهوض بالوضع الاجتماعي و السياسي للجماعات الخاضعة للاستعمار،انتشرت الأفكار السياسية العنصرية غير التحررية شديدة الرجعية و اشتد تأثيرها، و أصبحت لها مؤسسات في ظل النظم الفاشية و النازية في أوربا و في ظل نظم البطش الاستبدادية في المستعمرات و بالذات الايطالية منها. و بصفة عامة، ظل الرأسماليون من رجال الصناعة و التجارة في أوربا ينظرون إلى المستعمرات باعتبارها أملاكا يجب الاحتفاظ بها بأي ثمن.

ثانيا: مظاهر الكفاح الوطني والسياسة الإفريقية:

في كل الحالات تقريبا قاد الحركات الوطنية في العهد الاستعماري الصفوة الجديدة المتعلمة تعليما غربيا و التي كانت لذلك أحسن استعدادا لفهم الثقافة السياسية الأوروبية و بالتالي للرد بطريقة فعالة على الأنظمة الاستعمارية بأسلوبها هي. و قد تعاونوا أحيانا تعاونا ايجابيا مع أعضاء الصفوة "التقليدية" بالرغم مما كان يحدث من احتكاكات في

[1] القوزي(محمد علي)، "**في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، الطبعة الأولى 1426هـ/2006م، منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان، ص ص(95-98).

علاقتهم. وقد ظهرت ملامح مثل هذا التعاون في ساحل الذهب و في جنوب نيجيريا، والمغرب، وبين الجيكويو في كينيا[1].

وكانت الأحزاب السياسية و منظمات الشباب تستخدم كقنوات للتعبير عن تطلعات و مطالب الوطنيين الافريقيين و عن مظالم محددة. و كانت للأحزاب السياسية فائدة في الأماكن القليلة التي وجدت فيها سلطة تشريعية على النمط الاستعماري.

وقد أدى إدخال التعديلات الدستورية، رغم أنها أقل أهمية، في نيجيريا و ساحل الذهب الواقعتين في إفريقيا الغربية البريطانية، إلى تمهيد الطريق لظهور الأحزاب السياسية و لقيامها بنشاط فعال. فقبل هده التغييرات الدستورية كان من السهل إحباط ما يقوم به المجلس الوطني للافريقيا الغربية البريطانية من محاولات. أما بعد ذلك فقد استطاع الحزب الوطني الديمقراطي في نيجريا، مثلا، أن يكون له تأثير أكثر انتظاما على كل من السلطات الاستعمارية و السكان المحليين على السواء. كذالك قامت الأحزاب السياسية بدور هام في السنغال حيث كان المجلس العام الذي أصبح، بعد سنة 1930، المجلس الاستعماري هو المجال لذلك.

وقد قامت منظمات الشباب الاثنية و جمعيات الخريجين و غيرها بدور عظيم في جميع المستعمرات بصرف النظر عن أوضاعها الدستورية، فقد كانت تعد قوى سياسية و اجتماعية لا يمكن التغاضي عنها لا سيما في المناطق التي لم يكن النشاط السياسي ممكنا فيها بسبب الطبيعة القمعية للحكم الاستعماري. وقد ضمت منظمات الشباب، مؤتمر ساحل الذهب الذي أنشيء في سنة 1929، وحركة شباب لاغوس (نيجيريا فيما بعد)، ورابطة هاري توكو في كينيا.

[1] القوزي(محمد علي)، "**في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص(95-98).

وكانت بعض الحركات إقليمية الطابع بينما كان بعضها ممتدا عبر الإقليم[1]. وقد ضمت "نجمة شمال إفريقيا" بزعامة مصالي الحاج، و المؤتمر القومي لإفريقيا الغربية البريطانية، و مؤتمر جنوب إفريقيا و "اتحاد طلاب غرب إفريقيا" و الذي كان يضم أعضاء من مختلف أجزاء إفريقيا الغربية البريطانية.

وقد تنوعت الأسلحة التي استخدمت خلال فترة ما بين الحربين في مهاجمة النظام الاستعماري. فقد قلت إلى أدنى حد التمردات و الانتفاضات التي كثرت في الفترة السابقة. و بدلا من ذلك بدأ الوطنيون في استخدام الصحف و الكتب والنشرات و العرائض وهجرات الاحتجاج والإضراب والمقاطعة وصناديق الاقتراع والمواعظ والمساجد.

وقد أصبحت الصحف بشكل خاص جهازا حيويا لنشر آراء هذه التنظيمات السياسية و الاجتماعية. و كانت النخبة التي كان عددها يتزايد ببطء هي الجمهور و هي السوق التي تدعم عددا متزايدا من الصحف و الدوريات خلال هده الفترة.

وقد وفرت الصحف الوسيلة للنشر عن النشاط الوطني و المناهض للاستعمار عبر الحدود. و لذلك كانت تشكل مصدرا مستمرا لقلق المسؤولين الإداريين الاستعماريين. و قد جعل انتشار المذياع فيما بعد التدابير القهرية التي اتبعها الحكام الاستعماريون لإبعاد مستعمراتهم عن التأثيرات الخارجية أكثر صعوبة و أقل فعالية[2].

في الختام نشير إلى الحرب الايطالية الاثيوية التي بدأت في سنة 1935، و الاحتلال الايطالي الذي أعقبها لإثيوبيا،باعتبارها حدثا دوليا رئيسيا زاد من شعور التباعد بين الشعوب الخاضعة للاستعمار، و المتعلمين منهم بالذات، و بين النظم الاستعمارية. و قد أصبحت النبرة التي استخدمتها الفاشية و النازية بشكل عام ، الطبيعة العنصرية للاستعمار الأوربي في إفريقيا و قد أصيب أولئك الذين علقوا الآمال على عصبة الأمم بخيبة أمل مؤسفة و تفسر الرغبة في الحفاظ على الكرامة المهدورة للإفريقي، عودة

[1] القوزي(محمد علي)، "**في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص(95-98).

[2] نفسه، ص ص(95-98).

الأفكار القومية الإفريقية مثل الزنوجة إلى الظهور في ذلك الوقت. و هكذا كان للمنظمات الدولية القدر نفسه من الأهمية في الدفاع عن استقلال إثيوبيا، تلك الدولة التي كانت رمزا لأمل الإفريقي المتعلم في إمكان الحصول على الاستقلال.

وكانت الصحف و الدوريات، سواء المحلية منها أو الأجنبية تسخر، بالطبع، كأداة لنشر الأحاسيس الوطنية المناهضة للاستعمار ولأروبا، ومن أجل الحد من هذا التطور اتخذت تدابير إدارية و تشريعية عديدة ضد وسائل الإعلام الكبرى بما فيها الخدمات الإذاعية التي كانت تنتشر ببطء و قد بدلت جهود من أجل منع توزيع الكتابات و الصحف و الدوريات بل و أجهزة الراديو أو الحد منها حتى لو كان مصدرها بلاد المسؤولين الاستعماريين أنفسهم. و في كل الحالات تقريبا أخضعت الصحافة المحلية لسيطرة دقيقة عن طريق الرقابة و القوانين الخاصة بالتحريض على الفتنة، وقد اتخذت جميع هذه التدابير بقصد تسهيل مهمة الإدارات الاستعمارية.[1]

في فترة ما بين الحربين، كانت هناك علاقة جدلية بين الاستعمار و النزعة الوطنية الإفريقية ولم تحرز الحركة الوطنية الإفريقية المعادية للاستعمار نجاحات كبيرة في تلك الفترة و لكنها أثارت القلق بين المؤولين الاستعماريين و تدل على ذلك جميع تدابير القمع التي اتخذت في تلك الفترة. و إن فعلهم تجاه التحديات التي أثارها أمامهم هذا الكفاح تعني أنهم كانوا يرغبون في عزل إفريقيا عن التيارات العامة للتطور في العالم و لا يتصف هذا الأمر بعدم الواقعية و التناقض الذاتي فحسب، بل إن هذه المحاولة كانت بمثابة العامل الحافز الذي عجل بالكفاح الوطني الإفريقي وبمعاداة الاستعمار ليتخذا أشكالا أعمق وأوسع نطاقا سرعان ما أدت، مقرونة بآثار الحرب العالمية الثانية، إلى التحرك نحو الإطاحة بالنظام الاستعماري[2].

[1] القوزي(محمد علي)، "**في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، المرجع السابق، ص ص(95-98).

[2] نفسه.

واجه المستعمرون تحديات جديدة لم يكونوا على استعداد لمواجهتها بعد الحرب العالمية الثانية فقد اشترك أبناء المستعمرات في القتال واتصلوا بالعالم الخارجي وارتفعت روحهم المعنوية وزال عنهم مركب النقص لأنهم ما كانوا في درجة أقل من زملائهم البيض في ضروب القتال و مواجهة الصعاب و أثناء الحرب في أغسطس سنة 1941 أصدر روزفلت و تشرشل ميثاق الأطلنطي الذي نص في إحدى بنوده على حق الشعوب في اختيار نوع الحكم الذي يرونه و في شرق إفريقيا حدثت تطورات بدأت قبل الحرب و استمرت أثناءه منها الهجرة المستمرة للعمل في المدن مما زاد في فرص التجمع و المناقشة و قامت النقابات العمالية و الجمعيات الخيرية و الأندية و تشبع معظمهم بالتعاليم المسيحية و الإسلامية كل هذه العوامل فتحت أعينهم أكثر فأكثر لما يمارسه المستوطنون الأوروبيون من تمييز عنصري.

وتضافرت كل هده الخيوط و تكونت منها كتلة القومية الإفريقية على مبدأ إفريقيا للإفريقيين و بينما كان النزاع قبل الحرب بين مطامع المستوطنين البيض و إصرارهم على الحكم الذاتي لهم و بين السياسية البريطانية التي كانت تهدف للوصاية و الحماية للإفريقيين تبدل الموقف و أصبحت القومية الإفريقية وجها لوجه أمام الاستعمار الذي أصبح حاميا للأقليات الأوربية و الأسيوية[1].

رأينا كيف بسطت الدول الأوربية سلطاتها على مساحات واسعة من غرب القارة الإفريقية مبتدئة بالسواحل و الجزر القريبة منها ثم توغلت في الداخل.

و قد لقيت الدول الاستعمارية منذ أن وطأت أقدامها أرض القارة، مقاومة عنيفة من الوطنيين دفاعا عن حريتهم و عن حقوقهم في استغلال ثرواتهم و الاستفادة منها، بالإضافة لحقهم الطبيعي في العيش الآمن الحر في بلادهم.

لكن تغلبت أسلحة الدول الأوربية الحديثة على أسلحة الأفارقة البدائية، و استطاع المستعمرون أن يخضعوا كل مقاومة وطنية وقفت في وجه تحقيق أطماعهم الاستعمارية، و

[1] موسي(فيصل محمد)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص ص(242-243).

مع ذلك فقد ساعدت عوامل متعددة على نمو الوعي القومي بين الأفارقة فهبوا من جديد يطالبون بحقوقهم الطبيعية في بلادهم.

الدرس العاشر:

ثالثا: عوامل وأسباب التي ساعدت على زوال الاستعمار وتحرير المستعمرات

بدأت فكرة التحرر تظهر لدى مجتمعات العالم الثالث خلال القرن العشرين في كل من آسيا وإفريقيا بفضل عدة عوامل داخلية وخارجية اختلفت تأثيراتها وتفاوتت من دولة إلى أخرى بحسب موقعها الجغرافي ووضعها الاجتماعي والاقتصادي ورصيدها التاريخي[1]، ومن أهم عوامل اليقظة السياسية والتحرر الوطني نذكر:

1. معاناة الأفارقة نتيجة السياسة الاستغلالية للشركات والحكومات الاستعمارية.
2. انحراف البعثات التبشيرية في كثير من الأحيان عن أداء رسالتها الإنسانية و الدينية فأصبحت تساند الاستعمار وتشارك في تحقيق أهدافه.
3. وصول بعض الإفريقيين لمستوى ثقافي فتح عيونهم إلى حقيقة الأوضاع في بلادهم.
4. الاحتكاك الحضاري بين الإفريقيين و غيرهم وما شاهدوه في البلاد التي دخلوا إليها ليشتغلوا كعمال أو محاربين، فتح عيونهم لما يمارسه الأوربيون في بلادهم من ضرورة الاستغلال و الإذلال لأصحاب البلاد الأصليين.
5. تنبه الإفريقيون إلى ما عمد إليه الاستعمار من القضاء على ثرائهم الحضاري و مميزاتهم الاجتماعية و تقاليدهم فقام بعضهم ينادي بالعودة للقديم و التمسك به.
6. انتشار الحركات القومية في أوربا وانتقال هذه الأفكار للقارة الإفريقية نتيجة الاحتكاك بين الأوربيين والأفارقة.

[1] زوزو(عبد الحميد)، **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا**، دار للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، ص13.

7. الحروب التي فرض على الأفارقة الاشتراك فيها، والوعود التي بذلت أثناء الحرب بما ستتمتع به الشعوب كلها من حقوق بعد الانتصار في الحرب.

8. المؤتمرات الدولية التي عقدت بعد الحروب الأوروبية (الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية) خاصة تلك التي عقدها زعماء إفريقيا، و آسيا و بحثوا فيها المصالح و الأهداف المشتركة التي تربط بين الشعوب و دول القارتين.[1]

9. ضعف الدول الاستعمارية و انكسارها وخاصة الدول التقليدية فرنسا وبريطانيا واهتزاز مكانتها بعد الحرب العالمية الثانية و ظهور القوى جديدة.[2]

10. مبادئ ولسن بتاريخ يناير 1918 المتضمن لمبدأ _حق الشعوب في تقرير مصيرها_وكذلك مواقفه المعارضة للاستعمار والمناهضة لحب التسلط وتسلمه لعرائض ومذكرات عديدة جاءته من قبل الأحزاب العاملة في سبيل تحرير الشعوب كحزب تونس الفتاة وحزب الأمير خالد، وتشجيعه للحركة القومية العربية بالشام على الوقوف ضد النوايا الاستعمارية التي كانت للانجليز والفرنسيين في المنطقة[3].

11. تأثير الحرب العالمية الأولى والثانية: بمشاركة شباب المستعمرات في الحرب كمحاربين أكسبتهم خبرة ومراسا في استعمال السلاح ووضع الخطط العسكرية من جهة، أو كعمال في المصانع والمعامل واضطلاعهم على الواقع الأوروبي وعلى حقيقة الحرب التي خاضها بدون هوادة من يدعون حمايتهم لمبادئ الإنسانية من جهة ثانية[4].

12. دعم الكتلة الاشتراكية: كان لوقوف الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية إلى جانب الشعوب المستعمرة دور بارز في نيلها الحرية والاستقلال لاسيما وإن هذا الدعم جاء في المجال العسكري والاقتصادي والسياسي وفي هيئة الأمم المتحدة.

---

[1] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،"**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار الثقافة للنشر والتوزيع1997، ص ص(95-96).

[2] قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، **الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين–أوربا واسيا**، الطبعة الأولى 1997، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ص ص (233-234).

[3] زوزو(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص15.

[4] نفسه، ص ص(14-15).

13. عدوى التحرر والاستقلال: أي قيام ثورة ما ضد الاستعمار كانت تشجع بقية الشعوب على القيام بثورات مماثلة، ومن أجل ذلك لضطرت الدول الاستعمارية الى اعطاء الاستقلال لهذه المنطقة ثم سرعان ما تضطر لإعطائها إلى أخرى، وكذا الاستقلال المبكر لبعض الشعوب مثلا: سوريا، لبنان، والأردن 1946– الهند وباكستان 1947– برمانيا(بورما) 1948، أندونيسيا 1949، ليبيا 1951، مصر 1952، المغرب وتونس 1956...[1]

تلك هي العوامل التي دفعت بالحركات الوطنية إلى مناهضة الاستعمار والمطالبة بالاستقلال ورفض الإيديولوجية الاستعمارية التي كانت ترى في ظاهرة الاحتلال حقا من حقوق الدول الأوروبية يقرره لها تقدمها العلمي وتطورها الاقتصادي وتفوقها العسكري وتبرره الغايات التي كان يرمي إليها.[2]

وقد ترتب على هده العوامل كلها أن قامت الثورات في مختلف الدول المستعمرة في القارة و هبت شعوبها تناضل في سبيل الحرية و الاستقلال.

وفي عام 1959 وصل عدد الدول الإفريقية المستقلة عشر دول منها عدد من دول شمال إفريقيا و غربها و هده الدول المستقلة هي : مصر، أثيوبيا، و جنوب إفريقيا التي استقلت عن بريطانيا، لكن تسلمت زمام الحكم فيها أغلبية عنصرية من المستوطنين البيض، و كان عام 1960 عام إفريقيا بحق فقد تحررت الدول الإفريقية الآتية:

تشاد، والنيجر، و مالي، وموريتانيا، و الكمرون، ونيجيريا، وتوجو، وداهومي، وساحل العاج، والسنغال، والكونغو (زائير)، والكونغو (برازافيل)، وجابون، والصومال (صوماليا) وإفريقيا الوسطى.

[1] المحجوبي(علي)، **العالم العربي الحديث والمعاصر –تخلف فاستعمار فمقاومة–** الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009، ص 106.

[2] زوزو(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص23.

ولم تلبث القوى الاستعمارية القائمة على أرض القارة أن أجبرت على التسليم للقوى الوطنية، على أن الدول الإفريقية التي حصلت على استقلالها وجدت نفسها أمام مشكلات متعددة مترسبة من عصر الاستعمار الطويل و أساليبه.[1]

رابعا: رد الفعل النضالي والكفاح الوطني للشعوب المستعمرة في آسيا و إفريقيا

عبر أحداث التاريخ والعلاقات الإنسانية هناك جدلية بين الاحتلال والتحرر[2] بحيث لا يمكن أن يكون هناك احتلال بدون مقاومة ولا هذه بدون احتلال، نعم قد يتخذ الاحتلال أشكالا مختلفة ولكنه يظل احتلالا وسيطرة على الآخر، فيؤذي ذلك إلى التحدي وردود الفعل وهو ما نسميه المقاومة، والمقاومة قد تكون عنيفة عنف الاحتلال وقد تكون ضعيفة كالتحدي النفسي أو الموقف السلبي، ولكنها تظل مقاومة كامنة ومكتومة، في انتظار لحظة الانفجار وفرصة الضرب بقوة وعنف، وعندئذ ترفع المقاومة شعار التحرر من عبودية المحتل الغاشم. إن هذه الجدلية بين الاحتلال والتحرر هي التي تسمى في أدبياتنا الإسلامية بالتدافع، ودفاع الناس بعضهم بعضا، وتداول الأيام بين الناس.[3]

ما إن تمكن الاستعمار الأوروبي من السيطرة على الشعوب الإفريقية والآسيوية سياسيا واقتصاديا وعسكريا وإتباعه للوسائل المختلفة لتنفيذ مخططاته حتى كان لهذه الشعوب رد فعل تمثل في المقاومة والرفض لهذه السياسة الاستعمارية.

---

[1] عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)، المرجع السابق، ص ص(95-96).

[2] ففي القاموس السياسي واللغوي أن **الاحتلال** هو فرض هيمنة بالقوة العسكرية على قوم عجزوا عن صده بكل أشكال المقاومة. أما **المقاومة** فهي كل فعل يتصدى للاحتلال ويعمل على إنهاكه وتكسير شوكته. وهذه العملية النضالية هي التي نسميها "تحررا" .فالذين يقاومون الاحتلال إنما يريدون التحرر منه لكي يتمتعوا بحريتهم ويحافظوا على ذاتيتهم وخصائص حضارتهم، وهي التي أصبح يطلق عليها في العصر الحديث "الهوية الوطنية"، **أنظر: البعد التحرري للثورة الجزائرية محليا ودوليا**، أعمال الملتقى الدولي عن: **إشكالية التحرر والتحديات الدولية الراهنة**، المنعقد بفندق الأوراسي، الجزائر، أيام 6-7-2005/20/8، منشورات وزارة المجاهدين 2005، جمع وتنسيق المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص ص(27-38).

[3] نفسه.

إن شراسة الاستعمار التي عرفتها شعوب قارة آسيا هي نفس الشراسة التي عرفتها شعوب إفريقيا، ولهذا كانت ردود فعل شعوب المستعمرات في القارتين ضد الاستعمار واحدة، تمثلت في الكفاح المسلح والنضال المستمر بالإضافة إلى النشاط السياسي والدبلوماسي الذي خاضته هذه الشعوب للتعريف بقضاياها العادلة على مستوى القارة الآسيوية والإفريقية.[1]

أصبحت النزعة القومية، والوطنية منذ أوائل العشرين دافعا قويا لحركات التحرير الوطني وانبعاث الثقافات المحلية التي اشتدت يقظتها الوطنية مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وتبلورت أكثر بعد ح.ع.2.

إن مشروعية كفاح شعوب المستعمرات قد امتدت في الحقيقة إلى منطقة الشرق الأوسط وغيرها من المناطق التي تشهد كفاح تحريري، وإن إقرار منظمة الأمم المتحدة بمشروعية الكفاح الوطني والقومي من أجل التحرر هو اعتراف من المنظمة بأن النضال ضد الاستعمار والتفرقة العنصرية هو نضال مشروع من وجهة نظر ميثاق الأمم المتحدة والتصريحات والقرارات الصادرة عن المنظمة الدولية.[2]

كانت القارة الإفريقية محل أحقر وأبخس المساومات في تاريخ العلاقات الدولية، وبلغت ذروتها في مؤتمر برلين الذي نظمه تقسيمها وتركها لأرخص وأبشع الأطماع ولأنها عاشت مرارة الفقر والجهل والتأخر التي أقحمها فيها الاستعمار الذي غرس فيها بذور الانقسام، إن لم يخلقها لبسط سيطرته عاشت جراحا عميقة وأليمة تسبب فيها نظام طال أمده وللحديث عن هذه القارة أن نتذكر بأنها تألمت ألما شديدا ورهيبا لمدة طويلة جيدا من

[1] مرزاق(مختار)، **حركة عدم الانحياز في العلاقات الدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 85.

[2] حاطوم (نور الدين)، **قضايا عصرنا منذ 1945**، الطبعة الأولى 1972، دار الفكر المعاصر للنشر، ص 22.

إستلاب جوهرها الحي من جراء أكثر الممارسات خزيا، والمجازر الجماعية والعبودية والنخاسة، وقد عانت هيمنة واستغلال استعمارين بالغي القسوة.[1]

إن القارة الأفريقية كلها تثور وتفور بالحركات الوطنية، وإذا كان لأفريقيا قاسم مشترك فإنما هو الرغبة الكامنة أو البادية فعلا لدى غالبية الأفارقة تخليص أنفسهم من القهر إن أيام تحكم البيض المطلق وسيطرتهم التي لا ترحم أصبحت معدودة في كل الأحوال في القطاع الأكبر من القارة الإفريقية.

قال **'تريجفي لي'** أمين سابق للأمم المتحدة:« ... **إن عهد الرجل الأبيض في آسيا قد انتهى ولم يعد له سوى إفريقيا، وهذه إفريقيا تفيق من سباتها وتطالب بحريتها حتى تلحق بركب الحضارة التي يعمل الاستعمار على تعطيل سيره** ...» .[2]

خامسا: خصائصها:

الوعي القومي وتبلوره نتيجة العوامل والظروف التي أحاطت بحركات التحرر (السابقة الذكر في المحاضرة الأولى)، فأستبدل الاتجاه الإصلاحي والسياسي بالاتجاه الثوري(الفيتنه منه في الفيتنام واللجنة الثورية للوحدة والعمل في الجزائر).

- كانت حركات قومية وطنية.
- كانت حركات شعبية وليست طبقة.
- كانت متزامنة تقريبا(بعد ح.ع.2)
- كانت طويلة، عنيفة ومسلحة(الفيتنام والجزائر)
- غلب على بعضها طابع النضال السياسي(في الهند، تونس، غينيا)

جدول يبين المد التحرري في إفريقيا وآسيا

من نتائج الحركة التحررية نجد استقلال دول كثيرة:

(1945-1955) ⟵ عدد الدول الفائزة باستقلالها 7دول

[1] من خطاب الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في ندوة 53 للجمعيات غير الحكومية –أوت 2000 (جريدة المساء).

[2] صبري (أبو المجد)، **ثورة أفريقيا**، 1380هـ/1960م، ص 41.

(1955-1962) ⟵ عدد الدول الفائزة باستقلالها 28دولة

(1962-1975) ⟵ عدد الدول الفائزة باستقلالها 18دولة

المستعمرات المتحررة وتاريخها	مناطق النفوذ الاستعماري
مصر1952، السودان 1956، غانا1957، سيراليون_ تانجانيقا1961 أوغندا1962، كينيا1963، جزيرة موريس 1968، السيشل 1976، زامبيا 1964، زمبابوي 1965 و 1980، الصومال 1960، غامبيا 1965، ليزوطو 1966، ملاوي 1964، نيجيريا 1960، بوتسوانا 1966 ،جنوب افريقيا 1910 و 1994.	**المستعمرات البريطانية في إفريقيا**
بورما1948 سيلان1956 الهند والباكستان1947 الملايو 1957 سنغافورة1957 الاردن1946 العراق1958، سلطنة عمان 1951، الكويت 1961، اليمن 1967، البحرين 1971، قطر 1971، الامارات العربية المتحدة 1971	**المستعمرات البريطانية في آسيا**
غينيا 1958، الكونغو برازافيل 1960، مالي _مدغشقر _ التشاد _البنين _النيجر _بوركينافاسو ساحل العاج _الطوغو _ الكامرون_ افريقيا الوسطى _السنغال _الغابون _ أوغندا_ موريتانيا1960 تونس و المغرب1956 الجزائر1962 ، جزر القمر 1975، جيبوتي 1977.	**المستعمرات الفرنسية في إفريقيا**
اللاوس وكمبوديا والفيتنام1954 سوريا ولبنان والأردن1946.	**المستعمرات الفرنسية في آسيا**

غينيا بيساو 1974،الرأس الأخضر_ أنغولا ساوتومي وبرانسيب _موزنبيق 1975.	**المستعمرات البرتغالية في إفريقيا**
الكونغو الديمقراطية 1960،بورندي_ رواندا 1962.	**المستعمرات البلجيكية في إفريقيا**
ليبيا 1947 عن ايطاليا، و1951 عن الوصاية البريطانية الفرنسية.	**المستعمرات الايطالية في إفريقيا**
غينيا الاستوائية 1968.	**المستعمرات الاسبانية في إفريقيا**
أندونيسيا 1949.	**المستعمرات الهولندية في آسيا**

سادسا: زعماء حركات التحرر في إفريقيا واسيا:

من أقطاب حركات التحرر في إفريقيا واسيا الذين ناضلوا من أجل تحرير شعوبهم ودافعوا عن قداسة أوطانهم وكانوا بحق أبرز العناصر الممثلة للنخبة في العالم الثالث ورمزا للحركات الوطنية نذكر أبرزهم:

- ✓ حمدان بن عثمان خوجة- مصالي الحاج- عبد الحميد ابن باديس- وفرحات عباس- الأمير خالد- العربي بن مهيدي عبد الحفيظ بوصوف وآخرون ... (الجزائر)
- ✓ علال الفاسي – عبد الكريم الخطابي(المغرب)
- ✓ عبد العزيز الثعالبي - الحبيب بورقيبة (تونس)
- ✓ عمر المختار (ليبيا)
- ✓ أحمد عرابي- سعد زغلول- جمال عبد الناصر(مصر)
- ✓ محمد أحمد المدي(السودان)
- ✓ رشيد علي الكيلاني(العراق)
- ✓ يوسف العظمى(سوريا)
- ✓ جواهر لال نهرو - غاندي(الهند)
- ✓ محمد علي جناح (باكستان)
- ✓ أحمد سوكارنو (أندونيسيا)
- ✓ نيلسن مانديلا(جنوب افريقيا)
- ✓ كوامي نكروما (غانا)
- ✓ جومو كينياتا (كينيا)

- ✓ أحمد سيكوتوري (غينيا) [1]
- ✓ ليوبولد سيدار سينور (السنغال)
- ✓ نامدي ايزكوي (نيجيريا)
- ✓ موديبو كيتا (مالي) [2]
- ✓ باتريس لومومبا(الكونغو الديمقراطية- كنشاسا)
- ✓ جوزيف ديزيريه ما بوتو (أنجولا)
- ✓ غابرييل ليزيت(التشاد)
- ✓ روبرت موجباي(زمبابوي)

الدرس الحادي عشر:

[1] زوزو(عبد الحميد)، **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا**، دار للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، ص ص(22-23).

[2] عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،" **تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص 103.

سابعا: نماذج من حركات التحرر في إفريقيا واسيا:

- **في إفريقيا:**

1. كينيا:

أ- دولة كينيا تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية

نتيجة لقرارات مؤتمر برلين (1884-1885) شهدت القارة الإفريقية تكالب الدول الأوروبية إذ قسم القارة بشكل ينسجم مع مواقف الدول الأوربية، وأعطى المؤتمر اعترافا دوليا لموقف كان موجودا بالفعل، حيث بدأت الدول بعد المؤتمر بالتكالب على القارة الإفريقية بشكل عنيف وسريع فأخذت كل القوى تقدم ادعاءاتها للاحتلال والسيطرة على مختلف مناطق القارة[1]، فأصبحت كينيا في شرق القارة تحت النفوذ البريطاني حين اتجه البريطانيون إليها وتخفى تحت ستار الشركة البريطانية الامبريالية في إفريقيا الشرقية (**IBEAC/ Imperial British East**) منذ عام 1884 والتي كانت رائدة الاستعمار البريطاني، وفي عام 1895 استأجرت ملكة بريطانيا فكتوريا من سلطان زنجبار إدارة ساحل كينيا، ثم أعلنت كينيا كلها محمية بريطانية عام 1900 إلى غاية الاستقلال.[2]

لقد أجبرت الإدارة البريطانية الشعب الكيني على ترك أراضيه ثم حشره في مناطق لا يكفي إنتاجها حاجات القبيلة، فضلا عن نظام ضريبة الرؤوس وهو أحد نظم الضرائب، والهدف من ذلك هو توفير أكبر عدد من الأيدي العاملة الرخيصة لخدمة المزارعين المستعمرين الدخلاء، بالإضافة جانب السخرة التي يفرضها القانون على الأهالي فتحتم عليهم العمل لمدة شهرين دون أجر، وقد اضطر الكينيون الذين لم يستطيعوا دفع ضريبة

[1] عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)، **تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ص 291.

[2] عليو (محمد الشيخ)، محاكم القضاء الشرعي في جمهورية كينيا والتحديات التي تواجهها، **مجلة قراءات إسلامية**، العدد 15 محرم/ربيع الاول 1434-يناير/مارس 2013 مجلة ثقافية فصلية محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، ص ص(4-17).

الرؤوس إلى ترك مزارعهم فترة من الزمن وعرض أنفسهم على المزارعين المستعمرين بأجور أقل لسد الكفاف.[1]

كما بدأ البريطانيون بالتوسع والاستيطان في كينيا، واستولى المستوطنون على الأراضي الخصبة مما أحدث اصطدامات بين السكان الأصليين من قبائل الماساي(**MASAI**) والكيكويو (**KIKUYU**)، وقد استخدمت بريطانيا ضدهم وسائل العنف لإخماد معارضة أهل البلاد، وعملت على ترحيلهم من أراضيهم الخصبة وتركها للبيض، وهذا ما حدث سنة 1904 و1911 حينما أجبرت هذه القبائل على ذلك، وإقصاء الأفارقة عن أراضيهم وعزلهم في منطقة خصصت لهم سميت « بالمعازل الوطنية »، وقد اعتبرت الحكومة البريطانية جميع أراضي كينيا ملكا للتاج البريطاني، وأصبح للحاكم العام الحق التصرف فيها، وزاد الضغط البريطاني على أهل البلاد خلال الحرب العالمية الأولى وأجبروا على العمل التعسفي الإجباري، فانتشرت المجاعة والأمراض وخراب الأراضي الزراعية.

ب- 'جومو كينياتا' وجهوده في النضال التحرري الكيني

المولد والنشأة

ولد كينياتا في 1894 كان أبوه راعيا للماشية، وكان جده من أبيه من أطباء السحر من الذين يزعمون أن لهم القدرة على صناعة المطر، وترجع أصوله إلى قبيلة "كيكويو" تعلم جومو اللغة الانجليزية في مدارس البعثة التبشيرية الاسكتلندية، تلقى تعليمه الأولي بإحدى المدارس التبشيرية واعتنق المسيحية، إلا أن اعتناقه للمسيحية لم يحل دون تمسكه بالتقاليد الإفريقية، عمل في بداية حياته كتاجر، ثم عمل في إحدى الإرساليات الاسكتلندية في

[1] بذلك قد حقق المستعمرون أرباحا خيالية باستغلال الأفريقيين، ليس في كينيا فحسب بل في كل أفريقيا، فضلا عن ذلك فقد حرم الأفريقي من أبسط حقوقه الاجتماعية وهو التعليم، لقد بلغت نفقات التعليم للطفل الأوروبي أكثر من مائة جنيه بينما لم تزد على جنيهين اثنين بالنسبة للقلة القليلة من الأطفال الأفريقيين الذين سمح لهم بتلقي العلم فيها، **أنظر**: السيد(محمود)، **إفريقيا والأطماع الغربية**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2009، ص 143.

كينيا، مما أتاح له فرصة قراءة ما أصدرته الإرسالية من كتب ونشرات، الأمر الذي أهله للعمل ككاتب في العاصمة الكينية نيروبي.[1]

انضم عام 1924 إلى رابطة "كيكويو" التي طالبت بريطانيا بالتوقف عن الاستيلاء على الأراضي الزراعية للكينيين ولما كانت معظم القبائل الكينية تنتمي إلي قبيلة كيكويو الأكثر تضرراً من استيلاء المستوطنين على أراضيها، لذا أصدر كينياتا عام 1928 جريدة تتحدث باسم قبيلته، وانتخبه شيوخ القبيلة كممثل لها أمام السلطات البريطانية، وفي عام 1929 سافر كينياتا إلى بريطانيا لأول مرة وظل بها قرابة سنة واحدة عرض خلالها قضية بلاده وما يتعرض له شعبه من اضطهاد وظلم، وفي بريطانيا التقى كينياتا بعدد كبير من الأفارقة الذين كانوا يدرسون أو يعملون هناك، كما احتك بقادة النقابات العمالية البريطانية والقى عدة محاضرات أوضح فيها الأوضاع المأساوية لشعبه.

في عام 1930 عاد كينياتا إلى وطنه الأم ليؤسس مدرسة كينية ترسخ العادات والتقاليد الإفريقية بين مواطنيه، متصديا في ذلك لمعارضة المبشرين المسيحيين، وفي عام 1931 عاد كينياتا مرة أخرى إلى بريطانيا وظل بها لعدة سنوات درس خلالها الاقتصاد والعلوم السياسية سندا لمواصلة النضال والمطالبة بمزيد من الحقوق السياسية والاقتصادية لأبناء وطنه، في تلك الأثناء انتخب كينياتا رئيساً لاتحاد الأفارقة الذي كان قد تشكل من الأفارقة الموجودين بالمهجر، والذي كان يدعوا إلي ضرورة اتحاد الأفارقة وتعاونهم، وفي عام 1945 عقد الاتحاد مؤتمرا ناقش أوضاع الأفارقة ووسائل توحدهم، وكان حضور كينياتا مشرفا، مميزا، وفعالا.[2]

---

[1] الطيب (أبشر الطيب)، **قادة الاستقلال في شرق ووسط وغرب إفريقيا في القرن العشرين ودورهم في تحقيق السلام والوحدة الوطنية**، مقال على شبكة الواب من الموقع الالكتروني التالي:

- Dspace.iva.edu.sd

[2] إذ كان النظام القبلي في الزراعة يعتمد على زراعة القبائل لقطعة معينة من الأرض وبعد أن تضعف قدرتها الإنتاجية تتركها القبيلة باحثة على قطعة أرض أخري أكثر خصوبة لتتركها بدورها عائدة مرة أخري لقطعة الأرض الأولي وهكذا، الأمر الذي شجع المستعمرين على ادعاء أن تلك الأراضي لا صاحب لها واعتبروها ملكاً للتاج البريطاني. وفي محاولة لتفنيد حجج بريطانيا في انتزاع أراضي الأفارقة في كينيا يقول كينياتا في كتابه الشهير "في مواجهة جيل كينيا": "إذا كانت الأم تحمل جنينها في بطنها تسعة أشهر ثم ترضعه عامان؛ فإن الأرض تطعم الإنسان طوال حياته وبها يدفن، وفي أعماقها توجد أجساد الأجداد وأرواح الأقدمين." ونظرا لهذه السياسة الاستعمارية البريطانية المثمثلة في مصادرة الاراضي وتشريد الفلاحين والغاء المنظمات القومية واغلاق المدارس، رد الشعب الكيني بعدة مقاومات وثورات قادها زعماء وطنيون، أكثر التفاصيل ينظر: زوزو(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص ص(22-23).

في عام 1946 عاد كينياتا إلى بلاده بما اكتسبه من خبرة سياسية، مركزاً جهوده في تطوير التعليم والعمل السياسي، وفي عام 1947 انتخب كينياتا رئيساً لإتحاد كينيا الإفريقي، مُعلناً هدفه في تحقيق برنامج إصلاحي واقتصادي وسياسي، ومُطالباً بحقوق الأفارقة فى استرجاع أراضيهم التي انتزعت منهم، فكان انتخاب كينياتا رئيسا للاتحاد سبباً محفزا في أن بلغ عدد أعضاءه مائتي ألف إفريقي، الأمر الذي دفع المستوطنين إلي استنفار الحاكم البريطاني لإيقاف نشاط الاتحاد، وفي أكتوبر 1952 أعلنت حالة الطوارئ في كينيا وألقي القبض على كينياتا وعدد من زعماء الاتحاد، ووجهت إليهم تهمة الشغب وتكوين جناح "ماو ماو" العسكري الذي اتهم بتنفيذ عمليات تصفية وقتل للمستوطنين، ولحقتها محاكمة صورية حكم على كينياتا بالسجن سبع سنوات، وفي عام 1959 أخرج كينياتا من السجن ليبقى رهن الإقامة الجبرية.[1]

بالرغم من سجنه إلا أن الشعب الكيني ظل يكافح من أجل الإفراج عنه ليواصل قيادة الحركة الوطنية الكينية، وتحت وطأة ما تعرض له المستوطنين من هجمات وعمليات استنزاف، اضطرت بريطانيا إلى إنهاء حالة الطوارئ فى يناير 1960 وعقدت مؤتمر المائدة المستديرة بلندن، والذي شارك فيه ممثلين عن الحركة الوطنية الكينية، الذي نتج عنه إجراء انتخابات المجلس التشريعي في كينيا في نفس العام والتي فاز خلالها حزب اتحاد كينيا الإفريقي بالأغلبية، إلا أن الحزب رفض تشكيل الحكومة إلا بعد الإفراج عن كينياتا، فقامت سلطات الاحتلال بتشكل الحكومة من بعض قادة الأحزاب الكينية الأخرى، وفي شهر أوت 1961 أفرج عن جومو كينياتا نهائيا من الإقامة الجبرية، وخلال عام 1962 تم وضع دستور جديد لكينيا، وإجراء انتخابات في عام 1963 انتخب جومو كينياتا رئيساً للوزراء، وبعد إعلان استقلال كينيا عن بريطانيا انتخب كينياتا رئيساً للجمهورية، تمكن من إعداد كوادر وطنية يُمكنها قيادة وتطوير دولته غداة الاستقلال[2].

ت- جومو كينياتا وبداية النضال السياسي

على الرغم من العبودية التي فرضها البريطانيون على كينيا لم يتوقف الكينيون عن الكفاح والنضال المستمر ضد المستعمر البريطاني من أجل تحرير بلادهم، فمنذ 1922 ناضلت قبيلة الكيكويو ونددت بالممارسات الاستعمارية، كما انتقدوا الحكومة البريطانية في

[1] مقال على شبكة الواب من الموقع الالكتروني التالي: alakam. Mam.com

[2] موسي(فيصل محمد)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص ص(246-247).

معاملتهـا لهـم طيلـة تواجـدهم بـبلادهم[1]، ونتيجـة للتطـورات الـتي شـهدتها كينيـا خـلال الحـرب العالميـة الأولى نمـت الحركـة الوطنيـة وظهـرت المنظمـات السياسـية الـتي تـربط نشـوؤها بالأرض وأحوال الفلاحين، كما ارتبطت هذه المنظمات بقبائل الكيكويو، وذلك لسببين هما:[2]

- إن قبائـل الكيكويـو تعـد أكـبر مجموعـة قبليـة في كينيـا، حيـث بلـغ تعـدادها في عـام 1958 بأكثـر مـن مليـون ونصـف مليـون نسـمة مـن مجمـوع سـكان كينيـا البـالغ 5.9 مليـون نسمة.
- انتشـار الثقافـة والتعلـيم بـين قبائـل الكيكويـو أكثـر مـن غيرهـا بسـبب نشـاط الجمعيـات والـروابط المختلفـة في هـذا المجـال، ومنهـا جمعيـة مـدارس الكيكويـو المسـتقلة، وجمعيـة الكيكويـو للتربيـة والتعلـيم، إضـافة إلى مـا قامـت بـه المؤسسـات التبشـيرية والكنـائس مـن إنشـاء المدارس وتهيئة مستلزماتها.

وظهـرت أول منظمـة سياسـية في كينيـا حـين كـوّن هنـري ثوكـو في يونيـو 1921«جمعيـة شـرق أفريقيـا » أو « جمعيـة شـباب الكيكويـو[3] » وعضـويتها مفتوحـة أمـام جميـع أفـراد الكيكويـو، الـتي سـعت إلى الحفـاظ علـى حقـوق الأفارقـة في أراضـيهم، وقـد أثار نشـاطها غضـب السـلطات الاسـتعمارية الـتي سـارعت إلى إغلاقهـا في مـارس 1922 ومصـادرة ممتلكاتهـا، ونفـي رئيسـها 'ثوكـو' مـن أراضـي الكيكويـو، أمـام ذلـك خرجـت مظـاهرات احتجاجيـة صـاخبة ومنـددة لـذلك وحـدثت صـدامات بـين المتظـاهرين ورجـال الشـرطة الـتي قامـت بإطـلاق النـار، وفرضـت الحكومـة حالـة الطـوارئ، وأرسـلت بريطانيـا لجنـة للتحقيـق في أسـباب الاضـطراب، فشـكل الأفارقـة جمعيـة الكيكويـو المركزيـة في نفـس العـام لعـرض وجهـة النظـر الإفريقيـة والـدفاع عـن حقـوق الأفارقـة في الأرض ومقاومـة المسـتوطنين البـيض والتفرقـة

---

[1] القوزي(محمـد علـي)، **في تاريـخ إفريقيـا الحـديث والمعاصـر**، الطبعـة الأولى 1426هـ/2006م، منشورات دار النهضة العربية بيروت لبنان، ص ص(64-65).

[2] هريـدي تسـن(فرغلـي علـي)، **تاريـخ إفريقيـا الحـديث والمعاصـر، الكشـوف- الاسـتعمار-الاسـتقلال**، الطبعـة الأولى، دار العلـم والإيمـان للنشـر والتوزيـع، مطبعـة الجـلال، العامريـة الإسـكندرية، 2008، ص ص(293-294).

[3] حميـدي(جعفر عبـاس)، **تاريـخ إفريقيـا الحـديث والمعاصـر**، الطبعـة الأولى 1422هـ/2002م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان، ص ص(134-135).

العنصرية. وقد حصلت هذه الجمعية على تأييد واسع خشيت منه السلطة الاستعمارية فهدد حاكم كينيا البريطاني الأهالي الذين يساندون الجمعية بالعقاب، وعندما وجد أن هذا التهديد لم يؤد غرضه دعّي في عام 1930 إلى اجتماع لرؤساء القبائل والزعماء المحليين وحذرهم من التعاون مع هذه الجمعية، وفي الوقت نفسه أصدر قرارا بمنع نشاطات الجمعية وتحريم أناشيدها الوطنية ورقصاتها التراثية واعتقال زعمائها، وقد ألغيت هذه الجمعية في أوائل الحرب العالمية الثانية بحجة اتصالها بالإيطاليين أعداء الحلفاء.[1]

وفي عام 1940 تشكل المجلس المتّحد(**UNITED COUNCIL**)، الذي ضم رابطة الكيكويو المركزية، وبعض المنظمات الأخرى في كينيا مثل « رابطة أعضاء الأوكامبا » و« رابطة تلال تينا »، وكان هدف هذه المنظمة الجديدة توحيد نضال الوطنيين في كينيا ضد الاستعمار.

وبعد أن تنبهت السلطات البريطانية لأهداف هذه المنظمة، بادرت بالقضاء على نشاطها، واعتقلت 23 من أعضائها، وفرضت حظرا على نشاط « رابطة الكيكويو المركزية » وهي أكثر المنظمات شعبية في كينيا، وأرسلت الآلاف من أعضائها إلى معسكرات السخرة، وذلك بحجة أن لها نشاطا هداما، وأن لها اتصالات بالزعيم النازي «أدولف هتلر ».[2]

---

[1] وقد أنشأت هذه الرابطة فروعا محلية في أنحاء البلاد، ووجهت حملاتها ضد نزع ملكية الأرض، وأخذت تطالب بإعادة الأراضي التي أصحابها من الوطنيين الإفريقيين.وفي عام 1922 تصدت السلطات البريطانية لقمع الثورة التي قادها « هاري توكو »، وزجت به في السجن في نيروبي، كما أمرت بإطلاق الرصاص على المتظاهرين الذين كانوا يطالبون بإطلاق سراحه، فقتل الكثيرون وجرح أكثر من مائة من الوطنيين وبعد ذلك أعادت الرابطة تنظيم صفوفها تحت اسم « رابطة الكيكويو المركزية »، وأصبحت أهدافها تتمثل في وقف عمليات نزع ملكية الأرض، ومنح الحقوق السياسية للإفريقيين، وتمثيلهم في المجلس التشريعي، وفي الأجهزة الإدارية المحلية، وتحقيق المساواة في معاملة العمال والمستخدمين الإفريقيين، **أنظر**: حلمي محروس(إسماعيل)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر_من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية_**، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، ص 360.

[2] حميدي(جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 135.

ولم تتوقف السياسة الاستعمارية البريطانية عند هذا الحد بل تواصلت حين أجبر الكينيون على المشاركة في الحرب العالمية الثانية وجندوا للقتال في صفوف الحلفاء في إفريقيا وآسيا، كما أسهموا في المجهود الحربي للحلفاء بزيادة الإنتاج الزراعي والصناعي عندما استغلت بريطانيا ظروف هذه الحرب للاستفادة من الأيدي العاملة الكثيرة والرخيصة، وقد تأثر الكينيون إيجابا بظروف الحرب وانتشار الأفكار الديمقراطية للمطالبة بحقوقهم السياسية، خاصة وأن الحرب أوجدت فئة من الأجراء الزراعيين والعمال الصناعيين الأمر الذي أحدث تغييرا عميقا في بنية المجتمع.

ث- سياسة 'جومو كينياتا' في تحرير بلاده

مع ظهور نخبة مثقفة ساخطة على السيطرة الاستعمارية، شكل في عام 1944 "اتحاد كينيا الإفريقي" وهو بمثابة جبهة وطنية متحدة ضمت الأفارقة من مختلف القبائل والمناطق والفئات والانحدار الطبقي والاجتماعي يجمعهم هدف واحد هو الحصول على الاستقلال، وبرز من زعمائه جومو كينياتا (**JOMO KENYATTA**). الذي أصبح رئيسا للإتحاد عام 1947 –كما أسلفنا ذكره سابقا- وقد امتد نشاط الاتحاد ليشمل مختلف مناطق كينيا، وحدد منهاجه بالسعي إلى:[1]

- تطبيق الحكم الذاتي بما يضمن للأفارقة إدارة شؤونهم، وتوسيع المجلسين التنفيذي والتشريعي ومشاركة الكينيين في هذين المجلسين بصورة فعالة.
- الإصلاح الاقتصادي بإيقاف تملك البيض للأراضي، والاهتمام بتطوير وسائل الزراعة، والري، وتحسين أوضاع الأجراء من العمال والفلاحين، والمساواة في الأجور بين البيض والأفارقة.
- الإصلاح الاجتماعي وبخاصة في مجالي الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي، مع التأكيد على توسيع التعليم ونشره في مناطق كينيا المختلفة.

حصل الاتحاد على التأييد الشعبي الواسع بحيث بلغ عدد أعضائه في عام 1950 أكثر من مائة ألف عضوا وامتدت فروعه وشعبه إلى مختلف مناطق كينيا، وازدادت أعمال

[1] حلمي محروس(إسماعيل)، المرجع السابق، ص 360.

المقاومة والكفاح المسلح ضد الاستعمار والاستيطان، فأثار البريطانيون لأول مرة كلمة ماو ماو (**MAU MAU**) كدليل على العنف والكفاح المسلح، وبدأت الصحافة البريطانية وأعضاء مجلس العموم يرددون هذه الكلمة التي أصبحت تدخل الرعب في نفوس المستوطنين، فما المقصود بالماو ماو؟[1]

يرى أحد علماء النفس أن الماو ماو هو تصريف أو مخرج لتوتر سيكولوجي عاطفي تنج عن الاضطراب والفشل الذي ساد حياة الأفريقيين وما شهدوه من عدم المساواة والظلم والتسلط الأجنبي، فهي اشتعال مفاجئ عن الغيظ والسخط الذي تراكم بشدة وكثافة في نفوس الكيكويو وعموم شعب كينيا نتيجة الضغط والاستغلال وخيبة الأمل واليأس الذي تعرض له من قبل شعب يدعي أنه ذو حضارة أرقى، لعل ذلك دفع إلى قيام تنظيم سري تزعمه كنياتا لمقاومة احتكار السلطة والمال والأرض والسياسة العنصرية المطبقة من طرف البريطانيين، فهي حركة شعب مظلوم امتهنت كل تقاليده ومؤسساته وضاقت الدنيا في وجهه، وقد حولت بريطانيا إلصاق التهم ضد الماو ماو بهدف إضعافها وعزلها بحجة قيامها بأعمال إرهابية وحشية بعيدة عن التمدن والرقي والحياة الديمقراطية السليمة، في وقت استخدمت فيه بريطانيا كل الوسائل القسرية[2] والاستفزازية، بما فيها مصادرة أراضي الأهالي بالعنف واستعمال القوة في تشريد المزارعين الذين اضطروا إلى الهجرة للمدن القريبة فلم يجدوا العمل وعاشوا حياة التشرد والخوف والكراهية، وسدت في وجوههم سبل الحياة التي اسودّت في عيونهم فلجأوا إلى الانتفاضة والمقاومة.

في خضم هذه الأحداث والمستجدات أسرعت الحكومة في سبتمبر 1952 إلى إصدار التشريعات لتقييد الحريات العامة، واعتقال كل شخص يشتبه به، فتم اعتقال جومو كينياتا وعشرين من قادة اتحاد كينيا الإفريقي في 21 أكتوبر 1952 والحكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة، أمام هذا الوضع أصدرت اللجنة المركزية للاتحاد بيانا في 28 أكتوبر طالبت فيه:

---

[1] حميدي(جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 136.

[2] نفسه، ص 136.

- الإفراج عن المعتقلين، وإطلاق الحريات الديمقراطية والسماح باستمرار نشاط اتحاد كينيا الإفريقي، وحرية إقامة الأحزاب والجمعيات والنقابات العمالية، وحرية الصحافة.
- إلغاء التمييز العنصري والتفرقة العنصرية، وإشراك أهالي البلاد في إدارة المؤسسات الحكومية، وفي القوات المسلحة، والمساواة أمام القانون.
- الإصلاح الاجتماعي عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الصحية، والتوسع في إنشاء المدارس وإصلاح التعليم .

لم تؤد الإجراءات القمعية إلى القضاء على المقاومة الوطنية، فقد عينت الحكومة الجنرال جورج ارسكين قائدا عاما للقوات البريطانية، وأعلنت حالة الطوارئ[1]، لكنها اضطرت في النهاية إلى إجراء بعض الإصلاحات الدستورية عام 1954 لزيادة تمثيل الأفارقة في المجلس التشريعي، وسمحت في عام 1960 بإجازة الأحزاب السياسية فأسس« الاتحاد الإفريقي الوطني الكيني » وترأسه جيشورو، وتضمن منهاجه نفس الأهداف التي تضمنها ميثاق اتحاد كينيا الإفريقي المنحل، وعاد كينياتا إلى رئاسته بعد خروجه من

[1] لقد كان من الأمور العادية التي تحدث كل يوم أن يزل البريطانيون بالقرى عقابا جماعيا فتدعها مدافعهم أو تمطرها طائراتهم بالقنابل من الجو وكأنهم في سباق للصيد، وليس أمام شعب عزل مسالم لا يهتم إلا بالحصول على قوت يومه. وكان البريطانيون يهاجمون المدن والمزارع ويجمعون الأفريقيين ثم يسوقونهم كالماشية إلى المعتقلات والسجون، وإذا تمكن بعضهم من الفرار إلى المناطق المجاورة أغاروا بدباباتهم وعساكرهم على هذه المناطق وأنزلوا بجميع أهلها الدمار والخراب وصادروا ما بها من حبوب وطعام وإذا ما تمكن أحدهم من الهرب إلى الجبال أو الغابات قامت قاذفات القنابل بالتفتيش عليهم وضربهم، ولقد سجلت البلاغات العسكرية أسبوعيا بعد أسبوع صفحة رهيبة من القتل المتعمد والمذابح ومن ذلك أن القوات البريطانية أظهرت شجاعتها وبسالتها في إحدى غاراتها على قرية مسالمة فقتلت مائة شخص، وقد وصف البلاغ الحربي هذا النصر الفريد الذي سجله البريطانيون بأسلحتهم الأوتوماتيكية ضد الأفريقيين الذين لا يمتلكون سلاحا في العبارة التالية. الأسبوع الماضي كان من أنجح الأسابيع منذ بداية الطوارئ، قتل البريطانيون 102 أفريقيا، أي في 18 أكتوبر 1953م. وفي نوفمبر 1953 قام البريطانيون بعملية إبادة ضد الشعب الكيني حيث بلغ عدد القتلى من الأفريقيين 305 و49 من الجرحى والأسرى مما يؤكد أن المقصود من العمليات العسكرية الإبادة. ففي الربع الأخير من عام 1953م صدرت الأوامر إلى القوات البريطانية في المناطق المحرمة على الأفريقيين، باعتقال أي شخص تراه من الأفريقيين أو قتله إذا حاول الهرب، **أنظر**: السيد(محمود)، **أفريقيا والأطماع الغربية**، المرجع السابق، ص 146.

السجن، كما أسس تنظيم آخر بتشجيع من بريطانيا هو « الاتحاد الأفريقي الديمقراطي » برئاسة رونالد نجالا، ودعت بريطانيا إلى عقد مؤتمر في لندن في يناير 1960 حضره ممثلون عن الأفارقة والمستوطنون والهنود وتقرر فيه منح كينيا الاستقلال بعد فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات، وقد أجريت انتخابات فاز فيها جومو كينياتا، وأعلن استقلال كينيا، وأعلن بعد ذلك قيام النظام الجمهوري فيها[1]، وتبعها حركات التحرير الإفريقية حتى تحررت كل أفريقيا وخروج المستعمر الغربي مدحورا. [2]

ج- انجازات 'جومو كينياتا' غداة الاستقلال

شرع في إعادة بناء بلاده على نمط جديد، يكرس للانتماء الوطني والإفريقي، حيث ألغى كل ما يرمز لحقبة الاستعمار البريطاني من شعارات وملصقات وتعاملات، واستخدم بدلًا منها شعارات وملصقات ومعاملات معبرة عن الهوية الكينية والإفريقية.[3]

مضى جومو كينياتا في مسيرة البناء والتعمير الداخلي لبلاده ولقارته الإفريقية، فكان أحد مؤسسي منظمة الوحدة الإفريقية في أديس أبابا عام 1963، وأحد حكماء وقادة إفريقيا، الذين كانت لهم رؤية ثاقبة لمستقبل القارة، ولم يتوقف عطاؤه وجهده ونضاله على مختلف الجبهات، التي تخدم قضايا شعوب إفريقيا ولو للحظة واحدة، حتى توفي عام 1978، ليترك من بعده صفحة مليئة بمواقف الصمود والتصدي للغزاة والمحتلين، والكفاح

[1] منذ عام 1955 وحتى استقلال البلاد حاول البريطانيون حمل الكينيين تارة بالسياسة وتارة باستخدام الشدة بقبول مطالب المستعمرين المستوطنين والذين هم في الحقيقة الأمر أصل البلاء وهم الذين أضعفوا من تقدم البلاد لجشعهم والسيطرة على الحكم، وحرمان الأفريقيين من مزاولة حقهم المشروع. ولقد اضطر البريطانيون إلى الإفراج عن الزعيم الكيني جومو كينياتا وهم يأملون في اتباع سياسة معتدلة ولكنه أصر على عودة الأراضي المغتصبة إلى أصحابها الأفريقيين إلا أن البريطانيين لم يستجيبوا لمطالب الزعيم الكيني حتى أرغمتهم حرب التحرير الكينية، التي مكنت الشعب الكيني من الوصول إلى حريته وحكم بلاده بنفسه، **أنظر**: السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 146.

[2] حميدي(جعفر عباس)، المرجع السابق، ص 137.

[3] السيد(محمود)، المرجع السابق، ص 148.

في سبيل وحدة القارة وعزتها وحريتها واستقلالها الحقيقي، بعد أن وضع قواعد وأسس دولة كينيا الحديثة.

1. جمهورية الكونغو الديمقراطية(الزائير سابقا)

بدأ الأوروبيون استثمار موارد الكونغو بشكل كبير أواسط القرن التاسع عشر، ففي تلك الفترة جاء إلى الكونغو الإنكليزي 'هنري مورتون ستانلي' الأمريكي الجنسية الذي استطاع أن يطوف بمناطق الكونغو، ومن رحلته استطاع أن يتعرف على الثروات الكبيرة التي تمتلكها البلاد مما دفعه إلى حث الحكومة البريطانية على الإسراع في استغلال ثروات الكونغو، غير أنه لم يلق تجاوباً من الحكومة البريطانية.

وجه 'ستانلي' دعوته بعد ذلك إلى ملك بلجيكا 'ليوبولد الثاني' الذي عين 'ستانلي' رئيسا لشركة الكونغو الدولية التي تأسست سنة 1879.

تعتبر جمهورية الكونغو الديمقراطية مثلا على الاستعمار في أبشع صوره، وخاصة عندما تمكن 'ستانلي' من التوقيع على المئات من المعاهدات مع الزعماء المحليين لصالح شركة الكونغو الدولية، كما تمكن الملك البلجيكي 'ليوبولد 2' من الحصول على اعتراف من زعماء أوروبا بحقه الشخصي في ملكية الكونغو في مؤتمر برلين سنة 1884.

استمر ملك بلجيكا 'ليوبولد' يستثمر موارد الكونغو لحسابه الخاص مدة زادت عن العشرين عاما، مما أدى إلى استنزاف الميزانية والموارد البشرية البلجيكية[1].

واستمرت بلجيكا تستغل الثروات الطبيعية في الكونغو لما يقرب من ستة عقود، ولم ينخفض معدل الاستغلال إلا إبان الكساد الاقتصادي العالمي ما بين 1929- 1933.

ورغم الإدارة غير المباشرة للبلجيكيين على الكونغو، فقد توافد البلجيكيون على الكونغو للعمل في الإدارات الحكومية حتى وصل عدد البلجيكيين الذين يشغلون الوظائف العامة قرابة 10 آلاف بلجيكي و7 آلاف رجل دين مسيحي أوروبي، وبلغ تعداد الأوروبيين المقيمين في الكونغو سنة 1960 حوالي 100 ألف شخص.

[1] وودس(جاك)، **جذور الثورة الإفريقية**، ترجمة بلبع أحمد فؤاد، القاهرة 1971، ص321.

بلغ عدد اليد العاملة المحلية الكونغولية 500 ألف في الثلاثينيات، ومليون عامل سنة 1950 ، غير أن العمال لم يشاركوا بشكل ملحوظ في معارك الاستقلال لما امتازوا به من وظائف وسكن وإقامة في المدن.

عرفت الشعوب الكونغولية برفضها للاستعمار الأوروبي، وقد أشعل هذه النزعة للتحرر الداعية الكونغولي 'فرنسيسكو كسولا' إذ نادى بعد ادعائه النبوة إلى وجوب طرد المبشرين الأوروبيين وحراسة الثقافة الأفريقية.

كما أعلنت 'دونا بياتريس' نبوتها هي الأخرى وأنها مرسلة لإنقاذ مملكة الباكنغو من الاستعمار الأوروبي، إلا أنها أحرقت على أيدي المستعمرين البلجيكيين سنة 1796.

استمرت دعوات التحرر ذات الصبغة الدينية في الظهور رغم محاولات الردع الشديدة التي قابل بها البلجيكيون، ومن أهم الشخصيات الثائرة 'سيمون كيمنغو' الذي ادعى في الفترة ما بين الحربين العالميتين زيارة الله له وأنه مأمور بالتبشير بالمساواة بين الناس وإنقاذ العرق الأسود، وأسس حركة الكاكية (**LE KAKISME**) فاعتقل سنة 1921 ليموت بعد ذلك سجينا سنة 1951.

استمرت دعوة 'سيمون كيمنغو' بعد اعتقاله في الانتشار على أيدي أتباعه الذين كان لهم دور فاعل في نشر الروح القومية والحاجة إلى التحرر من الاستعمار الأبيض بين الكونغوليين.

أدى إعلان الجنرال الفرنسي ديغول استقلال المستعمرات الفرنسية ومن بينها الكونغو برازافيل سنة 1954 إلى تحرك الزعماء الوطنيين في الكونغو كينشاسا ورفع مذكرة تطالب بالاستقلال، وجاء مؤتمر الجامعة الأفريقية في نفس العام مساندا لمطالب الاستقلال إذ عاد منه 'باتريس لومومبا'[1] قائد الحركة الوطنية الكونغولية وهو يعتبر أن استقلال الكونغو عن بلجيكا حقا أساسيا وليس عطية تجود بها بلجيكا.

[1] **باتريس لومومبا (1925–1960)**: ولد باتريس لومومبا في اقليم كاساي سنة 1925 بالكونغو الشرقية، من أبوين من أبوين مزارعين يعتنقان المذهب الكاثوليكي، تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة الإرسالية البروتستانتية، عرف منذ طفولته بروحه الثورية المتحررة، فدخل إحدى المدارس التبشيرية الكاثوليكية، وعمره ستة سنوات، ولكنه تركها بعد عامين، رغم معارضة والده له، لأنه رفض الخضوع

حدثت اضطرابات عنيفة في العاصمة الكونغولية قتل فيها خمسون شخصا، إضافة إلى عشرات المصابين. وترتب على هذه الاضطرابات حل حركة الأباكو واعتقال قادتها، كما وعد ملك بلجيكا في 13 جانفي 1959 بمنح الكونغو استقلالها.

تنامى دور الحركة الوطنية الكونغولية إثر توقف نشاط الأباكو، وعرفت الحركة بحسها الوطني الذي لا يقوم على أساس قبلي، ومن أبرز قياداتها قبل الانقسام 'لومومبا'، ثم ما لبثت أن انقسمت الحركة إلى جناح يميني وآخر يساري بقيادة لومومبا، ألقي القبض عليه، وسجن سنة 1959.

اندلعت الاضطرابات في كل أنحاء الكونغو، واستمرت إلى نهاية سنة 1959 مما اضطرت بلجيكا إلى الاجتماع في بروكسل في جانفي 1960 مع رموز الحركة الوطنية التي مثلها كل من الأباكو والحركة الوطنية الكونغولية، إضافة إلى قادة الأحزاب الأخرى، وتم الاتفاق على الاستقلال الكونغو يوم 30 جوان 1960.[1]

= للمهانة والتضليل والتمييز العنصري الذي تسلطه عليه هذه المدرسة، وفي علم 1956 سافر لومومبا إلى بروكسل للعمل، ثم عاد إلى بلاده، إذ دعا عددا من الشباب المثقف لتأليف حزب وطني باسم الحركة الوطنية الكونغولية، سنة 1958 وذلك من اجل تحرير الكونغو من الاستعمار البلجيكي، وواصل نضاله ونشاطه السياسي، وتمسك باستقلال التام لبلاده ومقاطعة الانتخابات، واعتقل لومومبا على إثر ذلك، ودعت بلجيكا إلى مؤتمر المائدة المستديرة في روكسل في 20 جانفي 1960، للاتفاق على إعلان الاستقلال إلا أن معظم الزعماء قاطعوا المؤتمر بسبب اعتقال لومومبا، وعدم اشتراكه فيه، فأرجئ المؤتمر إلى شهر فيفري 1960 وأفرج عن لومومبا، وشارك في مؤتمر بروكسل، وفي 23 جوان 1960 عين أول رئيس للحكومة الكونغولية، وحدث انقلاب عليه واعتقل وقتل في نفس العام، ينظر: حمداني(محمد علي الأمين)، التطور التاريخي للجامعة الإفريقية (1900-1945)، **مجلة تاريخ العلوم**، العدد السابع، مارس 2017، ص ص(8-24).

[1] رياض(زاهر)، **استعمار إفريقية**، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965، ص 143.

الدرس الثاني عشر:

❖ نماذج من حركات التحرر في آسيا:

1. الهند:

كانت خطة الصراع التي رسمها غاندي خطة سلمية تماما، تقوم على « عدم العنف » وهو الوصف الذي عرفت به وتتلخص في رفض التعاون مع الحكومة في إدارتها واستغلالها للهند بأي صورة من الصور وكانت الخطة تقضي بأن تبدأ المقاطعة ببعض الصور البسيطة مثل رفض الألقاب المعطاة من الحكومة الأجنبية والمناصب الرسمية، ومقاطعة المحاكم سواء من المحامين أو المتقاضين، والمدارس والكليات الحكومية. ثم تمتد المقاطعة بعد ذلك إلى الخدمة العسكرية، ودفع الضرائب. وكان للحركة جانب جنائي وإيجابي، أول بنوده اقتناء المغازل اليدوية واستعمالها في غزل الأقمشة، وتكزين هيئات تحكيم أهلية تحل محل المحاكم في الفصل في المنازعات. وكان ثمة في البرنامج بندان هامان: الأول هو التآخي والوحدة بين الهندوس والمسلمين، والثاني هو رفع الحاجز الذي يفصل المنبوذين ويقضي بعدم لمسهم أو مشاركتهم الطعام.

إن حركة عدم التعاون هذه حركة سلمية تماما، ولكنها ليست كما يتصورها البعض مجرد عدم مقاومة. إنها نوع صارم عنيف من المقاومة، ولكنها مقاومة بغير عنف. إنها ثورة سلمية، وحرب هي أكثر أنواع الحروب تحضرا، وسلاح قادر على إلحاق الضرر ببنيان الدولة إلى أقصى الحدود. إنها أسلوب فريد في تحريك الجماهير إلى العمل[1].

ولكن أعلم أن اللاعنف أفضل من العنف، وأن العفو أدل على الرجولة من القصاص العفو العفو حلبة الجندي، ولكن عدم القصاص لا يكون عفوا إلا حيث تكون القدرة على القصاص، ولا معنى له إذا بدر من عاجز ... ولا أعتقد أن الهند عاجزة فإنه لا يقدر مائة ألف انجليزي على إخافة ثلاثمائة مليون من الناس. ثم أنه ليست القوة في الأسباب المادية، بل هي في الإرادة التي لا تقهر. وما كان اللاعنف خضوعا وانقيادا

[1] زوزو(عبد الحميد)، المرجع السابق، ص 47.

للمسيء بل أن اللاعنف يضاف إرادة المعاني بجماع قوة النفس، هكذا يقدر رجل واحد على إعجاز مملكة بأسرها حتى يكون علة سقوطها[1].

اذن مع ظهور شخصية المهاتما غاندي والذي دعا إلى اللاعنف عن طريق المقاومة الفعالة البعيدة عن كل عنف[2].

2. الهند الصينية

أ. مميزات السياسة الاستعمارية:

- إنفراد العنصر الاستعماري بتسيير شؤون المستعمرات.
- النظرة المتعالية تجاه شعوب المستعمرات.
- استغلال موارد المستعمرات لصالح الوطن الأم في أوروبا.

ب. الحركة التحريرية في الهند الصينية:[ضد فرنسا 1945 / 1954]:

كانت الهند الصينية مستعمرة فرنسية منذ 1858، احتلها اليابانيون أثناء الحرب العالمية الثانية تحت شعار آسيا للآسيويين، إذ احتلوا "تونكين" أي شمال فيتنام وكوشنشين وذلك سنة 1940 وفي الواقع لم يغادر الفرنسيون الفيتنام بل تحالفوا مع اليابانيين ضد الفيتناميين، وذلك أثناء سلطة حكومة فيشي المتحالفة مع هتلر وبالتالي مع دول المحور، أما بعد سقوط حكومة فيشي، انفرد اليابانيون بكل السلطات في الفيتنام، بل ساعدوا على ظهور حكومة رأسمالية في مارس 1945 برئاسة "باوداي"، أما هوشي منه فتزعم المقاومة تحت شعار (لنطرد الفاشيين والفرنسيين)، وبدأ عمله الثوري على الحدود الصينية الفيتنامية إذ تشكلت في 1941 جبهة (الفييتمنة) وهي اختصار باللغة الفيتنامية لرابطة استقلال الفيتنام، ووسعت من عملها المسلح في أوت 1945 مستغلة انهيار اليابان حيث أعلن "هوشي منه" في 2 سبتمبر 1945 عن استقلال الفيتنام إلا أن مؤتمر بوتسدام كان أقر سيطرة الصين على شمال الفيتنام وسيطرة بريطانيا على الجنوب تفصل بينهما دائرة عرض

[1] نفسه، ص 49.

[2] قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، المرجع السابق، ص 239.

17° شمالا. لقد انسحب البريطانيون من الجنوب الفيتنامي، فاسحين المجال أمام عودة الفرنسيين الذين اعترفوا في البداية – أي سنة 1946 بحكومة فيتنامية شمالية، وبضرورة إجراء استفتاء عام حول وحدة الفيتنام فكان لقاء "فونتانيلو" بباريس سنة 1946 أين تباينت وجهات النظر بين الطرفين[1]:

- كانت فرنسا مصممة على إقامة إتحاد الهند الصينية تحت زعامتها.
- كانت قيادة الفيتنام الشمالي مصممة على ضم الجنوب مع إلغاء الحكومة الجنوبية العميلة.

لقد رفضت فرنسا الانسحاب بل خططت للقضاء على حكومة الشمال الاشتراكية فكانت حرب اشتد فيها الاقتتال، فاعتمد الفيتناميون على الحرب المتنقلة، لذا وجد الفرنسيون أنفسهم في بحر من الشعب المسلح رغم التعزيزات المادية والبشرية، إذ أرسلت فرنسا أحسن ضباطها: "لوكلير" بطل فرنسا في الحرب العالمية الثانية، ثم في سنة 1951 الجنرال "دولاتر" الذي أعاد تنظيم الجيش الفرنسي والقوة الثالثة المتمثلة في الجيش الفيتنامي الجنوبي، ثم الجنرال "صالان" وبعده الجنرال "نافار" سنة 1953. ولقد اعترفت فرنسا سنة 1949 باستقلال "كامبوديا" و "لاووس" وهما دولتان من الهند الصينية إلى جانب الفيتنام، وذلك كي تتفرغ لإخماد ثورة هذا الأخير إلا أن استقلال البلدين كان صوريا مما دفع ثوار الهند الصينية من فيتناميين وكمبوديين، ولاووسين إلى تنسيق عسكري منذ سنة 1952 أفشل الخطط الفرنسية، وأنهى الوجود العسكري الفرنسي بعد معركة ديان بيان فو التي دامت 55 يوما (مارس / ماي 1954)

[1] **أكثر التفاصيل حول تاريخ الهند الصينية الحديث والمعاصر، ينظر:** هريدي(صلاح أحمد)، **تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 2009، مكتبة بستان المعرفة للطباعة ونشر وتوزيع، ص ص(239-263).

ت. مؤتمر جونيف (جويلية 1954):

حضرته الولايات المتحدة الأمريكية، الاتحاد السوفياتي، فيتنام الشمالي، فيتنام الجنوبي، فرنسا، لاووس، كمبوديا والصين الشعبية وتم الاتفاق على:

- إيقاف القتال في الفيتنام وانسحاب القوات الفرنسية تحت ضمانات أمريكية.
- تقسيم مؤقت إلى دولة شمالية وأخرى جنوبية تفصل بينهما دائرة عرض 17° شمالا.
- يتم استفتاء عام للشعب الفيتنامي حول وحدة البلاد بعد جلاء الفرنسيين تماما ويكون ذلك تحت إشراف أممي وخلال مدة أقصاها سنتان.
- تبقى الهند الصينية منطقة حياد تمنع إقامة القواعد العسكرية فيها، ولا يسمح إلى أي حلف أو معسكر.
- اعتراف فرنسا باستقلال كمبوديا ولاووس استقلالا تاما.

ث. الحركة التحريرية في الهند الصينية:(ضد أمريكا 1954 / 1973)[1]:

لقد أدرك الأمريكيون تراجع القوى الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية، فراحوا يستعدون كي يرثوا عنها مستعمراتها الواسعة ومن بينها الهند الصينية فقدموا المساعدات العسكرية لفرنسا تمهيدا بدخولهم في حلبة الصراع، وبلغت هذه المساعدات 4 ملايير دولار سنة 1954 فتزايد نفوذهم، وكان مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن لا تنتهي الحرب بحل سلمي، إذ عملت على عرقلة سير تطبيق ما جاء في مؤتمر جونيف واستقدمت "ديم" الذي كان منفيا فعينته رئيسا على شطر الجنوبي خلفا "لباوادي" وذلك في أكتوبر 1955 كما أقنعته بعدم تنفيذ ما جاء في مؤتمر جونيف فيما يتعلق باستفتاء الوحدة، وهذا ما نفذه ديم بالإضافة إلى استبدال الخبراء الفرنسيين ب: 3000 خبير أمريكي.

لقد عامل "ديم" المدنيين بكل غلاضة انتقاما من ضربات الثوار، فألب على نفسه معظم القوى الوطنية التي تحالفت في ديسمبر 1980 مكونة الجبهة الوطنية للتحرير

[1] قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، ص ص(284-291).

"فيتكونغ" التي الحقت ضربات كان لها أثر في زعزعة حكم ديم وكان رد فعل "كندي" أن طبق ما عرف بالحرب الخاصة:

- ❖ إنشاء مناطق محرمة على طول عرض 17° شمالا الفاصل بين الشطرين.
- ❖ إقامة آلاف القرى الإستراتيجية يحشد فيها سكان الجنوب لعزل الثوار عن الشعب.
- ❖ شن هجومات لإبادة الثوار واستعمال الغازات السامة لتطهير الأدغال إلا أن ضعف "ديم" أبطل مفعول هذه الخطة مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية إلى تدبير انقلاب أودى بحياته وزاد عدد الخبراء الأمريكيين من 23000 خبير إلى 61000 سنة 1965 حيث أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية رسميا عن مشاركة جنودها في العمليات القتالية فارتفع عددهم كالتالي:[1]
  - سنة 1966 ـــ 230.000 جندي.
  - سنة 1967 ـــ 448.000 جندي.
  - سنة 1968 ـــ 550.000 جندي.

بالإضافة إلى 38.000 جندي أمريكي في مطارات تايلاندا لشن الغازات على الفيتنام الشمالي، وأمام قوة الثورة، أعلن الرئيس الأمريكي نيكسون عن سياسته تجاه مشكلة الهند الصينية عرفت بمبدأ نيكسون أو "فتنمة" الحرب (**Vietnamisation**)أي تقديم المساعدات العسكرية لدول المنطقة (فيتنام الجنوبي كامبوديا ولاووس) المهددة.[2]

بالثورة لكن دون تورط أمريكا بجنودها مباشرة ويعني هذا إثارة الحرب وتعميمها على دول الهند الصينية، ويعد هذا اعترافا بفشل سياسة التدخل البري المباشر والاكتفاء بالإمداد والقصف الجوي منذ 1969 ودبرت الولايات المتحدة الأمريكية انقلابا للأمير

[1] قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، ص ص(284-291).

[2] نفسه.

"سيهاذوك" في كامبوديا بسبب تعاطفه مع الثوار الفيتناميين وذلك في مارس 1970 ودخلت قوات أمريكية وجنوب فيتنامية إلى بنومبنه عاصمة كامبوديا في شهر فبراير 1971 حيث ظهر نظام دكتاتوري بقيادة المارشال "لون نول" أما في "لاووس" دعم الأمريكيون نظام الأمير سوفانا فونغ فكان رد فعل الثوار سريعا إذ ظهرت جبهة الخمير الحمر في كامبوديا وجبهة الباتتلاو في "لاووس".

لقد اضطرت الولايات المتحدة الأمريكية – أمام خسائرها المادية والبشرية – إلى توقيع اتفاقية توقيف القتال مع حكومة فيتنام الشمالي وذلك في 27 جانفي 1973 بباريس، إلا أن العميل فإن 'ثيو' رفض العمل بهذه الاتفاقية خاصة وأن أمريكا دعمته عند خروجها بـ 640 طائرة، 1100 دبابة ومساعدة اقتصادية سنوية قدرها 3 مليار دولار، واستمر الاقتتال بعد ذلك ولمدة 28 شهرا إلى أن دخل الثوار عاصمة الجنوب سايغون في 30 أفريل 1975، كما نجح ثوار 'باتيت لاو' من إيعاد النظام العميل، وشكلوا حكومة وحدة وطنية سنة 1973 كما نجح الخمير الحمر في القضاء على نظام لون نول في 17 أفريل 1975 إلا أنه سرعان ما اندلعت حرب أهلية طويلة[1].

[1] قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، ص ص(284-291).

الملاحق

الملحق رقم 01 :

صورة تمثل مظهرا من مظاهر التبشير المسيحي بإفريقيا[1]

[1] بكاي (منصف)، المرجع السابق، ص 23.

الملحق رقم 02 :

خريطة توضح توزيع مناطق النفوذ في إفريقيا حسب ما جاء في مقررات مؤتمر برلين (1884–1885).[1]

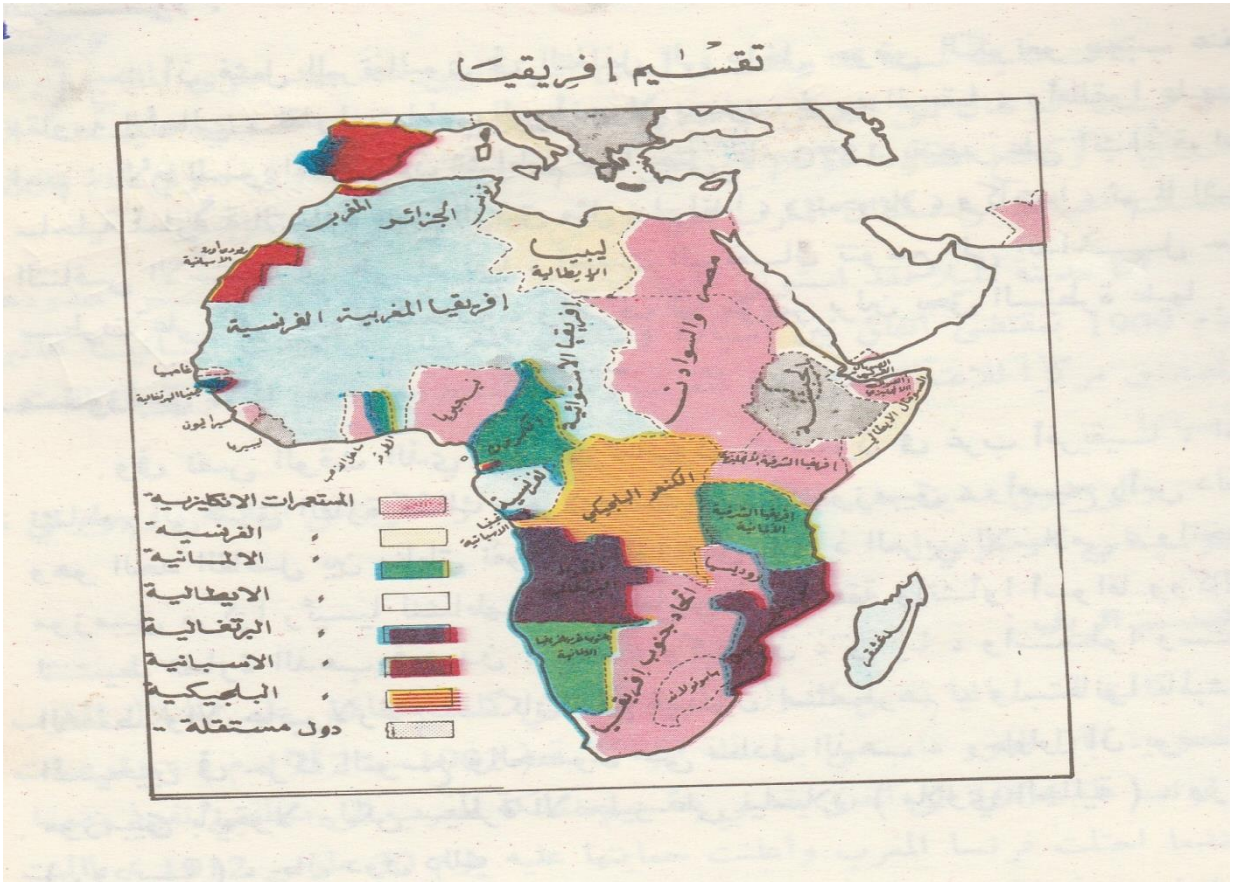

[1] حديبي(إبراهيم)، إبن حديد (الطاهر)، المرجع السابق، ص193.

الملحق رقم 03 :

منطقة النفوذ البلجيكي حوض الكونغو الغني بأكمله .[1]

[1] عطا الله الجمل (شوقي) ، عبد الله إبراهيم (عبد الله) ، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المرجع السابق ، ص 179.

الملحق رقم 04 :

المستعمرات الفرنسية و الإنجليزية في إفريقيا.[1]

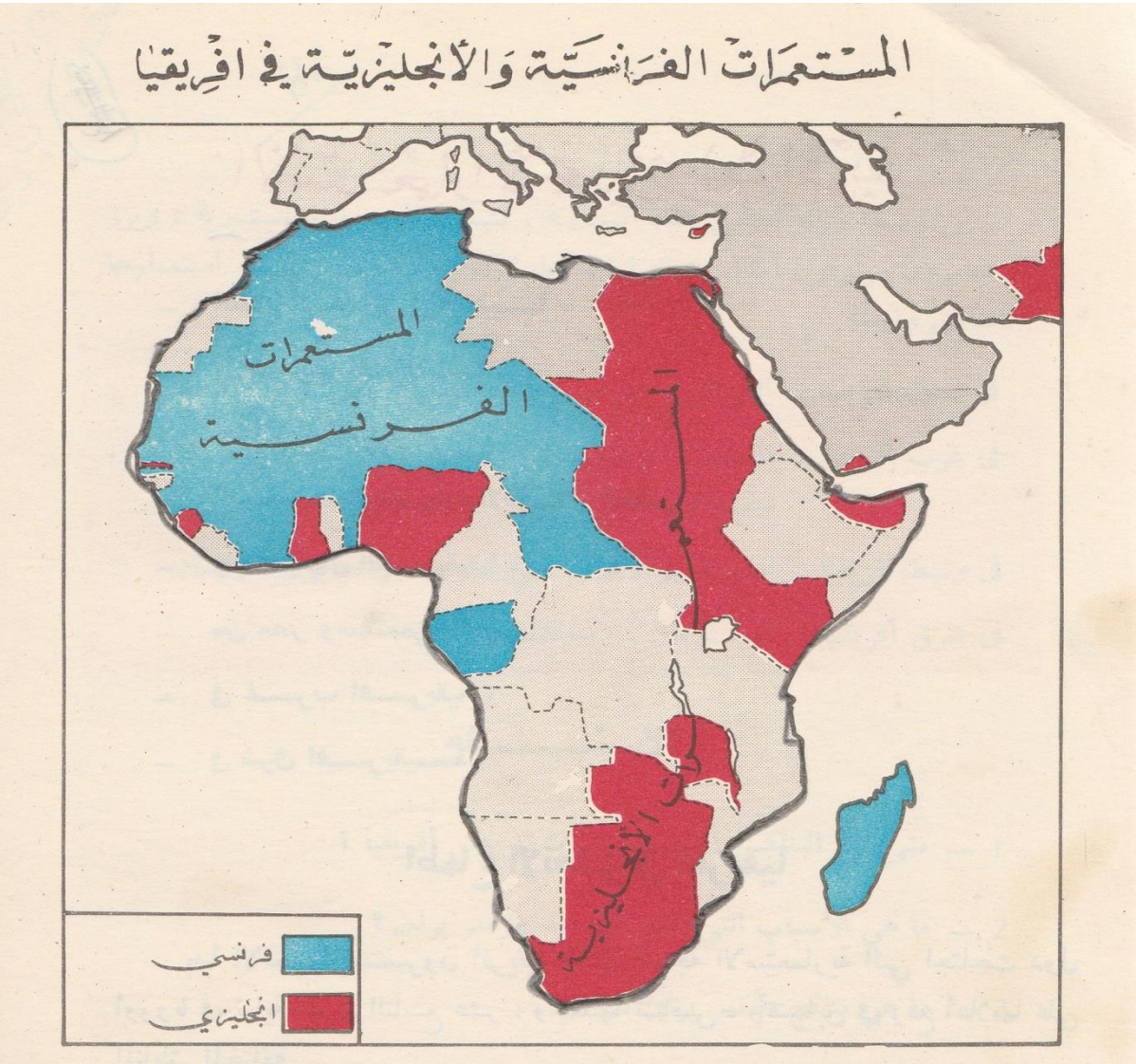

[1] حديبي (إبراهيم) ، إبن حديد (الطاهر) ، المرجع السابق، ص 184.

الملحق رقم 05 :

شكل يبين مواقع كشف الساحل الإفريقي والوصول إلى الهند .[1]

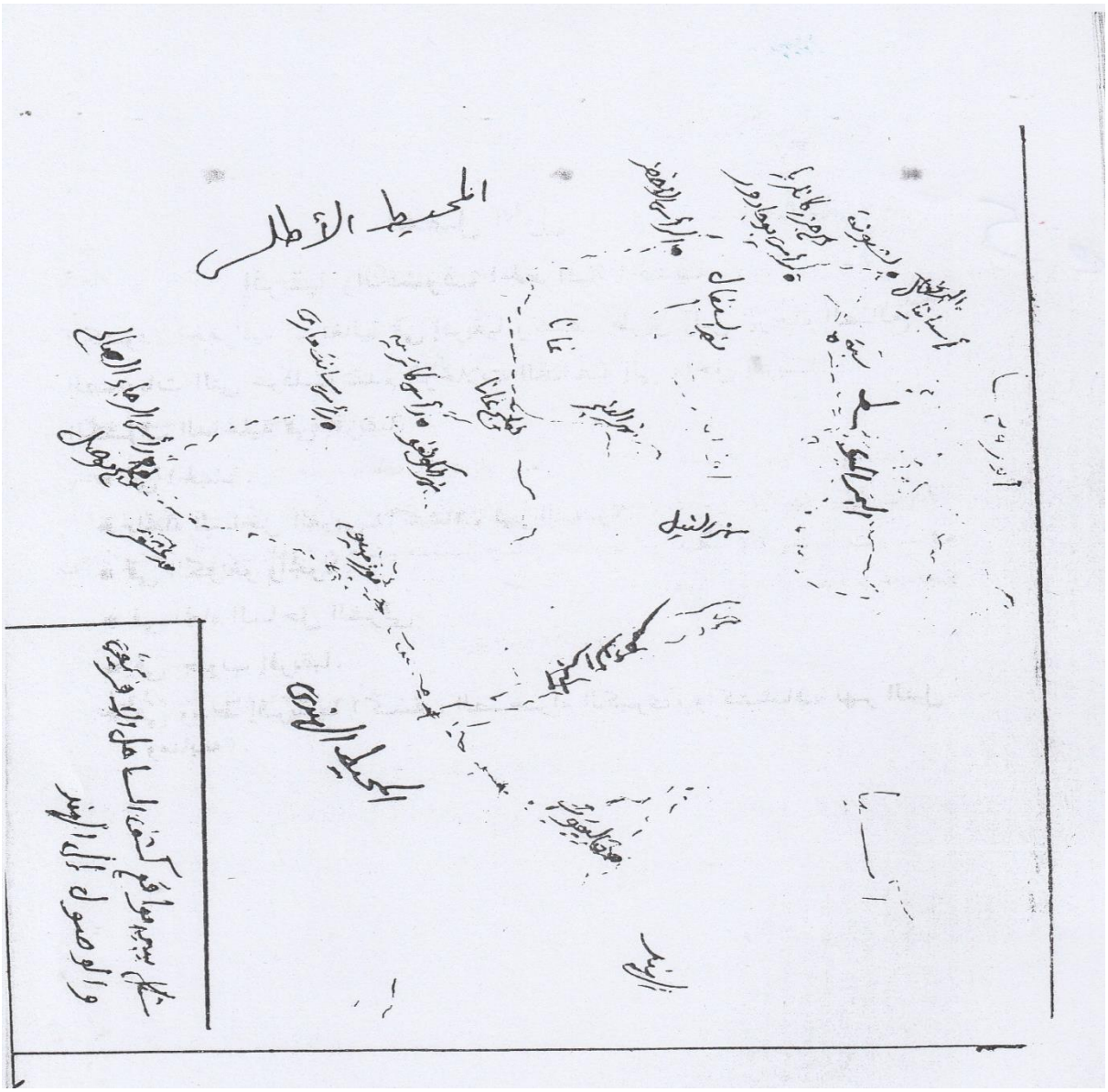

[1] حلمي محروس (إسماعيل)، المرجع السابق، ص2.

الملحق رقم 06 :

خريطة توضح الدول الكبرى والتوسع الاستعماري في المحيط الهادي بين القرن 19م إلى 1941.[1]

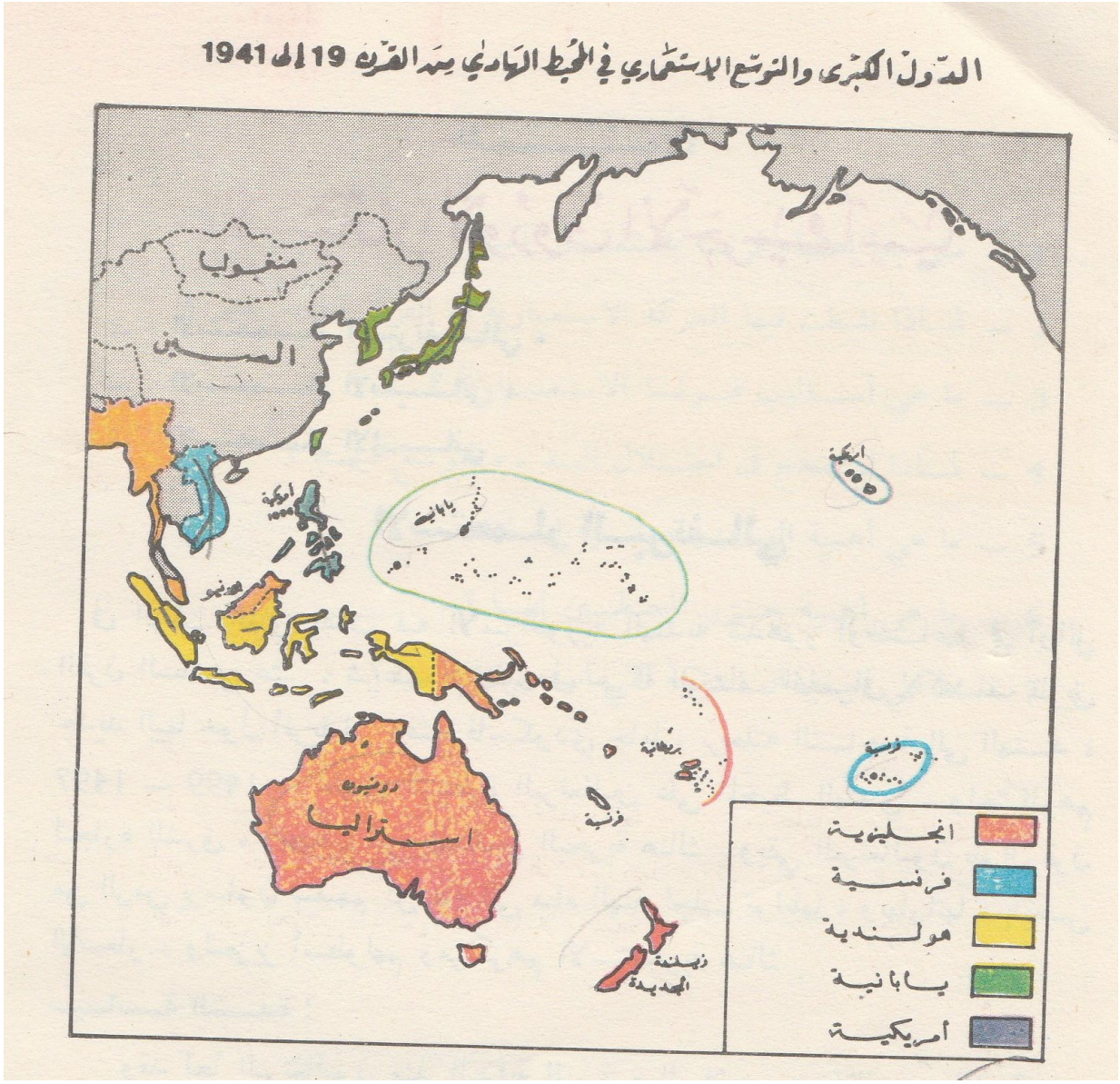

[1] حديبي (إبراهيم) ، إبن حديد (الطاهر) ، المرجع السابق، ص 226.

الملحق رقم 07 :

خريطة تبين التوسع الإنجليزي والفرنسي في الهند والشرق الأقصى .[1]

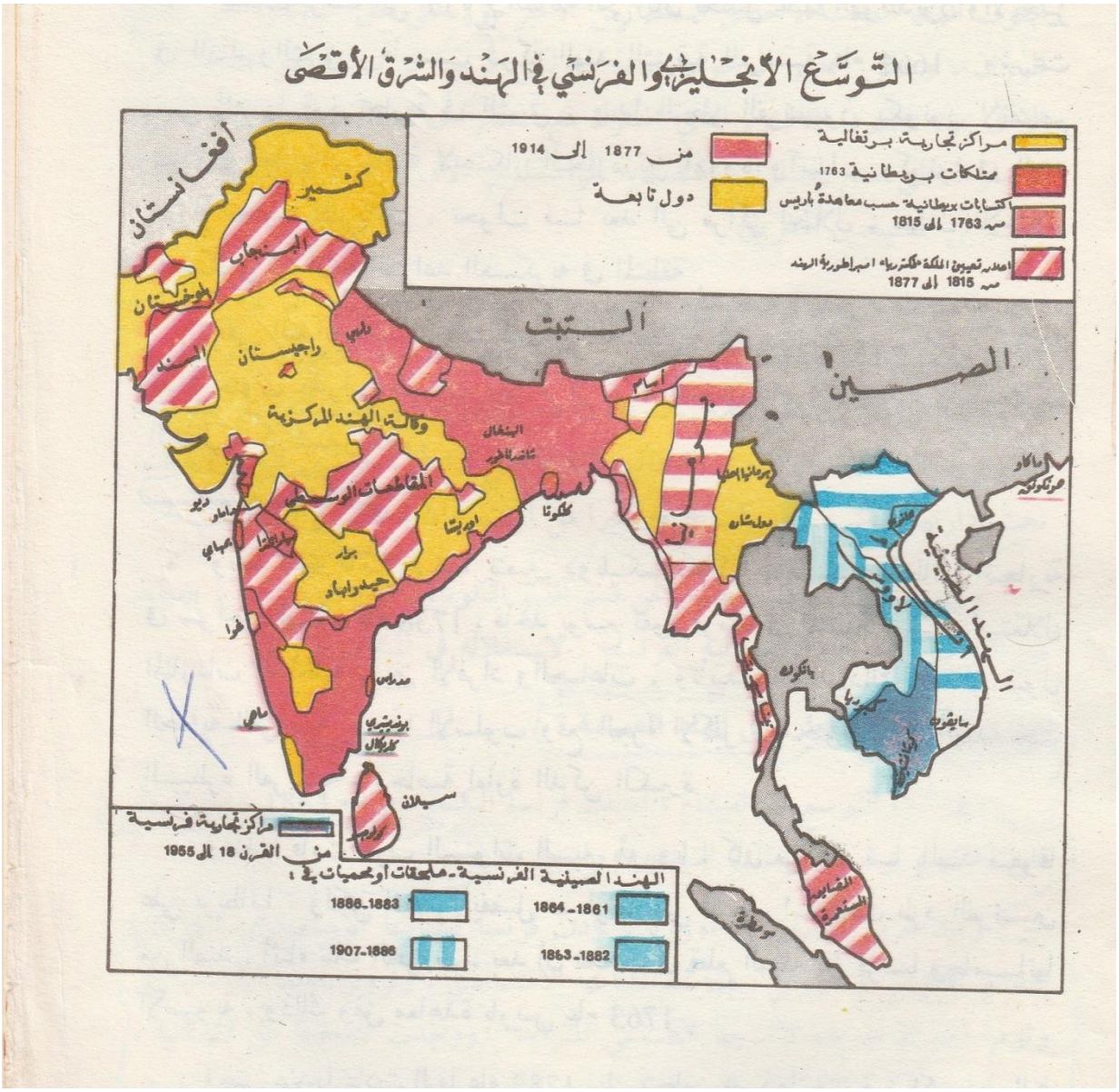

[1] حديبي (إبراهيم)، إبن حديد (الطاهر)، المرجع السابق، ص 219.

الملحق رقم 08 :

تقسيم سوريا والعراق حسب اتفاقية سايكس بيكو 1916.[1]

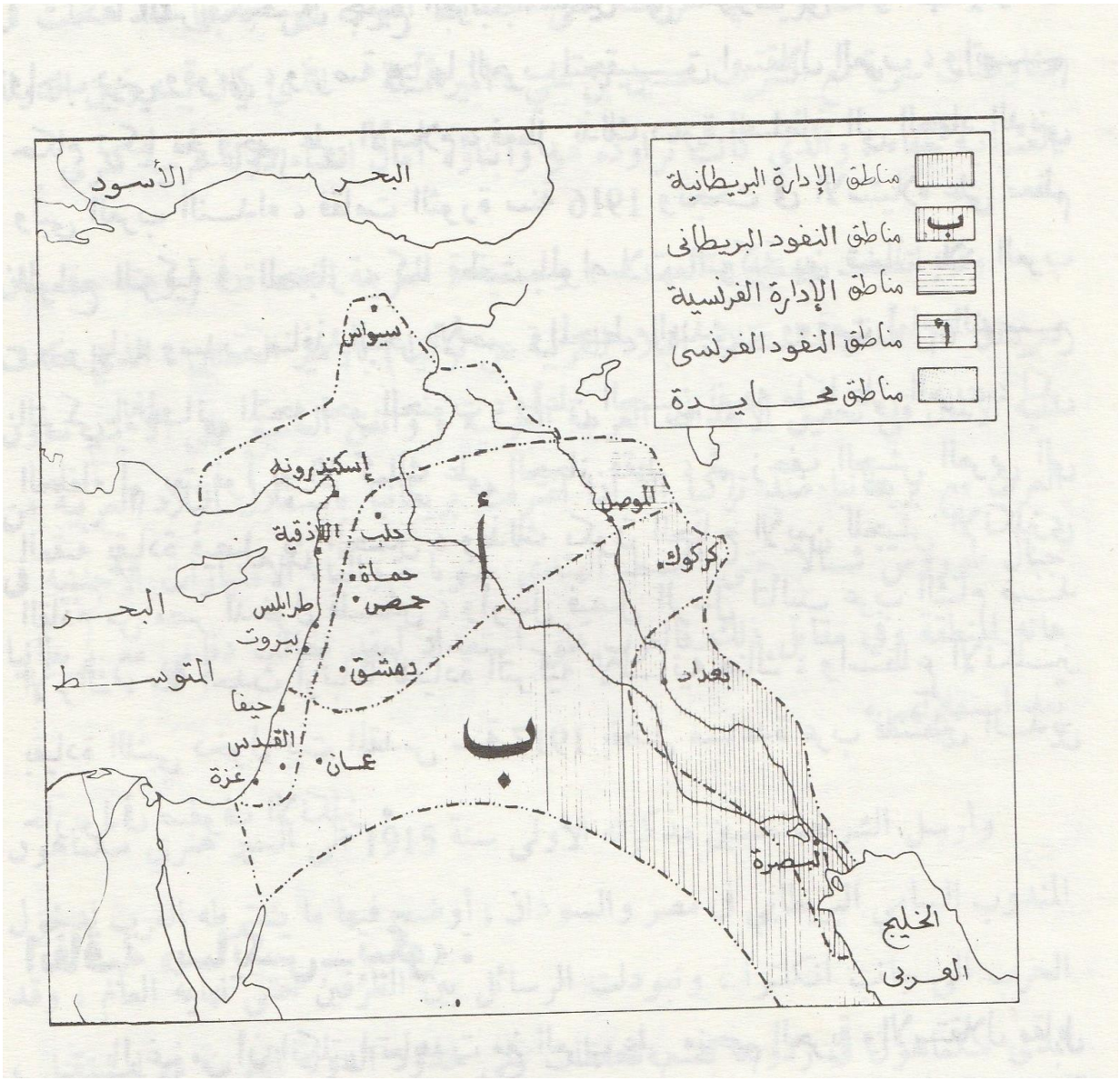

[1] جموعي(مشري)، المرجع السابق، ص118.

الملحق رقم 09 :

خريطة توضح مشروع سكة حديدية برلين بغداد.[1]

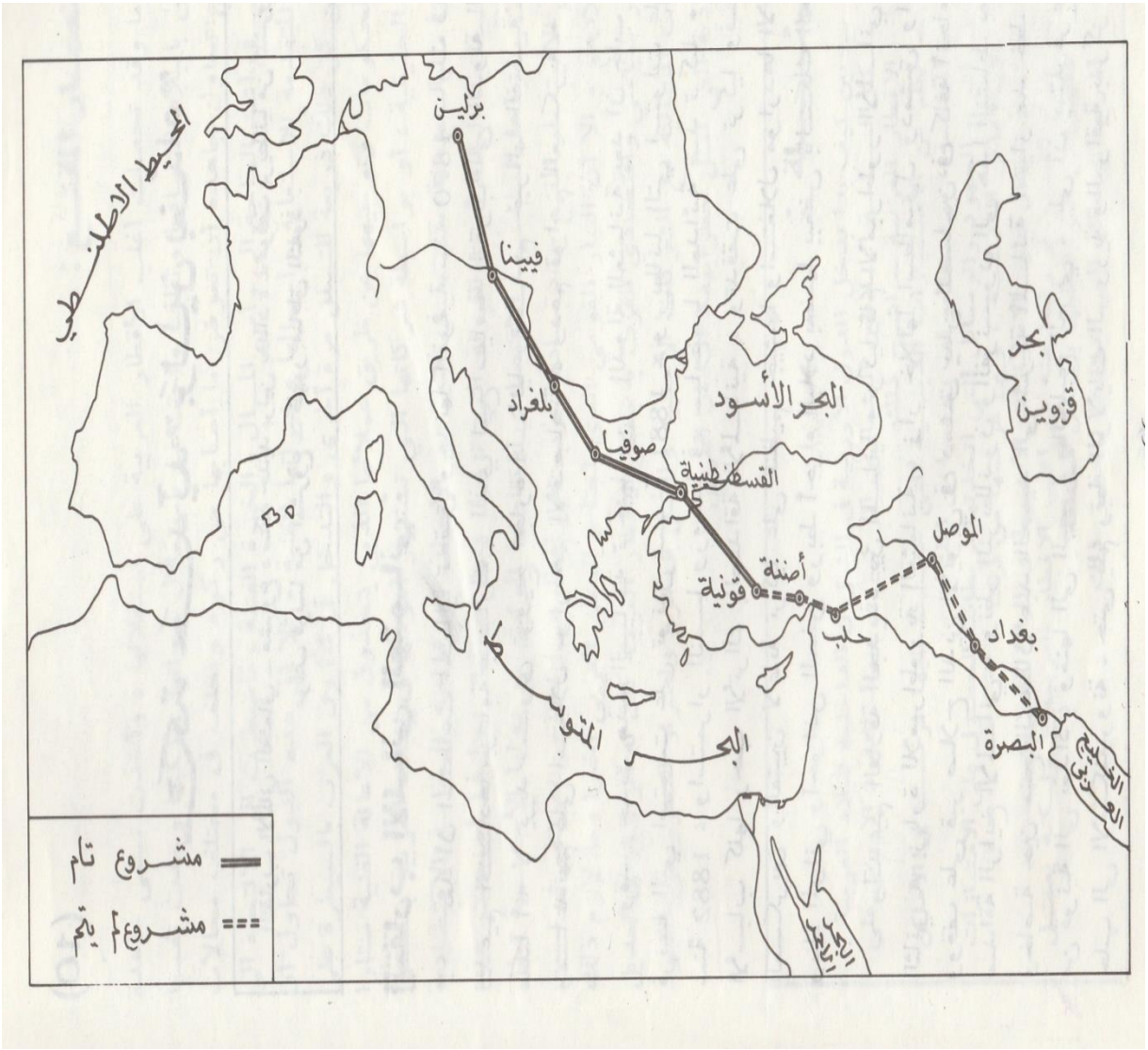

[1] جموعي (مشري)، المرجع السابق ، ص 66.

قـائـمـة البيبليوغـرافـيا

قائمة البيبيوغرافيا

أولا: المراجع المتخصصة:

1. أبـــو عامود(محمـــد ســـعيد)، **العلاقـــات الدوليـــة المعاصـــرة**، الطبعـــة الأولى، دار الفكـــر الجـــامعي، الإسكندرية، 2008.

2. أبـــو الفتوح(رضـــوان)، عفيفـــي(محمـــد الهـــادي)، وآخـــرون، **أصـــول العـــالم الحـــديث_ منـــذ النهضـــة الأوروبية حتى وفتنا الحاضر**_، مطبعة نهضة مصر، الفجالة، القاهرة 1974.

3. البطريق(عبد الحميد)، **التيارات السياسية المعاصرة**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

4. الجمـــل(يحـــي)، **الأنظمـــة السياســـية المعاصـــرة**، دار النهضـــة العربيـــة للطباعـــة والنشـــر، بـــيروت، 1974.

5. الجودي(أنـــور)، **الفكـــر والثقافـــة المعاصـــرة في شمـــال إفريقيـــا**، النـــاظر للـــدار القوميـــة للطباعـــة والنشـــر، القاهرة 1385هـ/1965م.

6. السيد(محمود)، **أفريقيا والأطماع الغربية**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009.

7. السيد(محمود)، **تاريخ جنوب شرق آسيا**، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، 2004.

8. دياب(أحمـــد إبـــراهيم)، **لمحـــات مـــن التـــاريخ الإفريقـــي الحـــديث**، الطبعـــة الأولى، كليـــة الآداب، جامعـــة الرياض، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1981.

9. القوزي(محمـــد علـــي)، "**في تاريـــخ إفريقيـــا الحـــديث والمعاصـــر**"، الطبعـــة الأولى، منشـــورات دار النهضـــة العربية بيروت لبنان، 2006.

10. القوزي(محمـــد علـــي)، **العلاقـــات الدوليـــة في التـــاريخ الحـــديث والمعاصـــر**، الطبعـــة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2002.

11. القوزي(محمـــد علـــي)، **دراســـات في تاريـــخ العـــرب المعاصـــر**، الطبعـــة الأولى، دار النهضـــة العربيـــة للطباعة والنشر، 1999.

12. حـــدوش(حمزة)، **نقمـــة الثـــروة**، الطبعـــة الأولى ، دار الـــوطن للصـــحافة والطباعـــة والنشـــر المغـــرب. 2017.

13. حـــديبي (إبـــراهيم)، ابـــن حديـــد(الطاهر)، **تاريـــخ العـــرب الحـــديث والمعاصـــر(1516-1939)**، المعهد التربوي الوطني، الجزائر.

14. صـــالح محمـــد الســـيد(أشـــرف)، **أصـــول التـــاريخ الأوروبي الحـــديث**، الطبعـــة الأولى، دار ناشـــري للنشر الالكتروني الكويت، 2009.

15. صوان(محمد شعبان)، **معضلة التنمية الاستعمارية–نظريات في دعاوي ايجابيات الاستعمار**، الطبعة الأولى، ابن النديم للنشر والتوزيع، 2015.

16. عبد العزيز (إسحاق)، **نهضة إفريقيا**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971.

17. عطا الله الجمل (شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،" **تاريخ شمال وغرب إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.

18. عطا الله الجمل(شوقي)، عبد الرزاق إبراهيم(عبد الله)،"**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**"، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1997.

19. علي إبراهيم(عيسى)، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، 2000.

20. عبد العزيز(سليمان نوار)، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي.

21. عبد العزيز(عمر)، **دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، مصر (1517–1952) و القضية الفلسطينية**، طبعة 1990، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

22. سلامة(موسى)، **غاندي والحركة الهندية**، دون طبعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة للطبع والنشر.

23. مالكي (أمحمد)، "**الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي**"، الطبعة الثانية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994.

24. المحجوبي(علي)، **العالم العربي الحديث والمعاصر –تخلف فاستعمار فمقاومة–** الطبعة الأولى، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009.

25. موسي(فيصل محمد)، **موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997.

26. رمضان(عبد العظيم)، **تاريخ أوربا والعالم الحديث**، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

27. رياض(محمد)، عبد الرسول(كوثر)، **إفريقيا–دراسة لمقومات القارة–**، الطبعة الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1973.

28. الزيدي (مفيد)، **موسوعة تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر**، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، دار أسامة للنشر والتوزيع.

29. جلال(يحي)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، د.ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

30. صغير(مريم)، **البعد الإفريقي للقضية الجزائرية(1955–1962)**، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م، دار السبيل للنشر والتوزيع الجزائر.

31. حميدي(جعفر عباس)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1422هـ/2002م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عمان.

32. حلمي محروس(إسماعيل)، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر_من الكشوف الجغرافية إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية_**، الجزء الأول 2004، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر.

33. جموعي(مشري)، **تاريخ العالم الحديث–من فجر الصناعة إلى الحرب العالمية الأولى(1760–1914)**، د.ط، المعهد التربوي الوطني، الجزائر.

34. حمدان(جمال)، **إستراتيجية الاستعمار والتحرر**، الطبعة الأولى 1403هـ/1983م، دار الشروق.

35. تركي (رابح)، **"التعليم القومي والشخصية الوطنية"**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1975.

36. هريدي(صلاح أحمد)، **تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 2009، مكتبة بستان المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

37. فتال(هند)، سكري(رفيق)، **تاريخ المجتمع العربي الحديث والمعاصر**، الطبعة الأولى 1988، جروس برس للطبع.

38. صالح منسي(محمود حسن)، **الشرق العربي المعاصر**، الطبعة الأولى 1990، المعادي الجديدة للطبع.

39. قبيسي(بشرى)، مخول(موسى)، **الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين–أوربا واسيا**، الطبعة الأولى 1997، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.

40. مرزاق(مختار)، **حركة عدم الانحياز في العلاقات الدولية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

41. زوزو(عبد الحميد)، **تاريخ الاستعمار والتحرر في إفريقيا واسيا**، دار للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر.

42. ياغي (أحمد إسماعيل)، شكر(محمود)، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر،_قارة إفريقيا_** الجزء الأول ، دار المريخ للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، 1413هـ/1993م.

43. رياض(زاهر)، **استعمار إفريقية**، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1965.

44. Hardy (Georges), **Les éléments de L'histoire Coloniale**, paris renaissance du livre, 1920.

ثانيا: المراجع المتخصصة المترجمة:

1. وودس(جاك)، **الاستعمار الجديد في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية**، الطبعة الأولى، ترجمة الفضل شلق، دار الحقيقة للطباعة والنشر، بيروت 1971.

2. وودس(جاك)، **جذور الثورة الإفريقية**، ترجمة بلبع أحمد فؤاد، القاهرة 1971.

3. ساحلي(محمد الشريف)، **تخليص التاريخ من الاستعمار**، ترجمة: محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال.

4. هوارد(س)، **أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا**، الجزء الأول، ترجمة: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996.

5. رنوقان(بيير)، **تاريخ العلاقات الدولية(1815-1914)**، ترجمة: **جلال يحي**، الطبعة الثانية 1971، دار المعارف بمصر.

ثالثا: المراجع العامة:

1. الخطيب (أحمد)، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أثرها الإصلاحي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

2. عميراوي(أحميدة)، **من تاريخ الجزائر الحديث**، الطبعة الثانية، دار الهدى، الجزائر 2009.

رابعا: الملتقيات التاريخية:

1. قنان(جمال)، **التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية**، أعمال الملتقى الدولي حول: **الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي**، فندق الهيلتون 02-2006/07/03، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007، جمع وتنسيق المحاضرات من قبل: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.

خامسا: المجلات:

1. كركب(عبد الحق)، **'الممارسات الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا خلال العصر الحديث تجارة الرقيق- نموذجا'**، **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، العدد 35، السنة 2019، مجلة دورية دولية محكمة تعني بالقضايا التاريخية والاجتماعية يصدرها فريق بحث المعارف للدراسات التاريخية والاجتماعية ونشر التراث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة نواكشوط-(موريتانيا).

2. كركب(عبد الحق)، **'مؤتمر برلين وآثاره الاستعمارية على القارة الأفريقية خلال الربع الأخير من القرن 19'**، **مجلة قراءات إفريقية**، العدد الثاني والأربعين(42)، السنة 2019، مجلة دولية ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، دولة (مصر).

3. حسن السيد(سليمان)، **"ظاهرة الاستعمار في إفريقيا والعالم العربي"**، **مجلة دراسات افريقية**، العدد الثاني، أفريل 1986، مجلة بحوث نصف سنوية، المركز الإسلامي الإفريقي الخرطوم.

4. بوالصفصاف (عبد الكريم): "التحولات السياسية في الحركة الوطنية الجزائرية"، **مجلة سيرتا**، السنة الثالثة، العدد **5**، ماي، 1981.

5. عبد الدايم(أحمد حسين)، **الاقتصاد الإفريقي في كتابات الرحالة الأوروبيين في القرن 19**، **مجلة قراءات إفريقية**، العدد الحادي والعشرون(21)، سبتمبر 2014، مجلة دولية ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، تصدر عن المنتدى الإسلامي، دولة (مصر).
6. بولحية(نور الدين)، **الاستعمار الكلاسيكي وجرائمه في حق الشعوب_الاستعمار الفرنسي للجزائر نموذجا**، **مجلة آفاق علمية**، المجلد 10، العدد 1 السنة 2018.
7. عليو (محمد الشيخ)، **محاكم القضاء الشرعي في جمهورية كينيا والتحديات التي تواجهها**، **مجلة قراءات إسلامية**، العدد 15 محرم/ربيع الاول 1434-يناير/مارس 2013 مجلة ثقافية فصلية محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية.
8. حمداني(محمد علي الأمين)، التطور التاريخي للجامعة الإفريقية (1900-1945)، **مجلة تاريخ العلوم**، العدد السابع، مارس 2017.

سادسا: القواميس:

- Dictionnaire Encyclopédique, Petit Larousse En Couleurs, Imprimé En France, Janvier **1984**.
- Dictionnaire Encyclopédique, Imprimé En France, Septembre **1985**.
- Le Petit Robert, Dictionnaire De Culture Générale, Paris, France, **1993**.

سادسا: المواقع من شبكة الواب 'الرسمية':

- ***Islamstory.com***
- ***https://tipyan.com***
- ***http://egypt-blew.blogspot.com***
- ***https://www.arab-ency.com/ar***
- ***https://ar.wikipedia.org***
- ***http://www.djazairess.com***
- ***www.onefd.edu.dz/cneg***
- ***http://www.marefa.org***
- ***mathlycee.ahlamontada.com***
- ***Dspace.iva.edu.sd***